PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

JUN 15 2006

DUE JUN 15, 19[illegible]

JUN 15 2007

JUN 15 2009

JUN 15 2008

JUN 15 2011

JUN 15 2010

JUN 15 2012

JUN 15 2014

كتاب
التوحيد

المسمّى

الأدلة على الحكمة والتدبير
والرد على القائلين بالأهمال ومنكري القدر

ملاه الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين
بن الامام الحسين الشهيد بن الامام علي بن ابي طالب المرتضى
رابع الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم آمين

صححه وعلق حواشيه وطبعه على نفقته

محمد عبد الرزاق حمزة
مدير دار الحديث المحمدية بالجمالية الشريف

حقوق الطبع محفوظة

لطبعة الثانية طبعت عن نسخة قديمة مطبوعة بتاريخ ١٣٢٩ هـ بدار السلام

١٧٦٨٦
Ja'far al-Sadiq
ع ع عطا
١٣٨٤ هـ

كتاب التوحيد

المسمّى

الأدلة على الحكمة والتدبير والرد على القائلين بالأهمال ومنكري التعمد

املاه الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين الشهيد بن الامام علي بن ابي طالب المرتضى ثالث الخلفـــاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم آمين

صححه وعلق حواشيه وطبعـــه على نفقته

محمد عبد الرزاق حمزة
مدير دار الحديث ومفتش بالجهاز الشريف

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية طبعت عن نسخة قديمة مطبوعة بتاريخ ١٣٢٩ هـ بدار السلام

2271
.505175
.352
1911

32101 022682742

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على رسل الله وخاتمهم سيد البشر اجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم الى يوم الدين .

(وبعد) . . .فقد كنت رأيت عند بعض الاخوان رسالة تسمى « التوحيد » للامام جعفر الصادق رضي الله عنه ، وعن آبائه ، يذكر فيهـــا آيات الله في الأنفس والآفاق ، مما يثبت حكمة الله وعلمه وتدبيره لخلقه وينفي قول الملاحدة الدهرية الذين يقولون : بالصدفة والاهمال ، وعدم التدبير والحكمة ، وبالتالي نفي وجود رب العالمين .

قرأتها حينئذ واعجبني اسلوبها وقربه من مدارك الجمهور وسهولة فهمها على الدهماء[1] مع احقية ماجاء فيها من أدلة وبراهين .

ثم تركتها بعد ذلك محفوظة لحين الحاجة اليها .

وقد ظهر في هذه الايام نَكِرَةٌ يريد أن يُعرف بالكفر ويظهر بانكار وجود الله تعالى ، حتى عده بعضهم من عميان

---

(١) الدهماء أي عامة الناس .

الماسونية المسلطين على هدم مقدسات الانسـانية من خُلقية وأدبية ودينية ، وربطه بعضهم بكلاب صهيون أعداء الاسلام والعرب والناس اجمعين .

فرأيت أن الحاجة ملحة لنشر هذه الرسالة القيمة ، تثبيتاً لايمان من يقرؤها بفهم وروية ، بل لا يخلو قارؤهامن فائدة تفيده في ايمانه بالله وحكمته وتدبيره ،وبغض هؤلاء العمي الصم البكم الذين لا يعقلون . . .

وقد صححتها على قدر الطاقة ، ووضعت عليها حواشي قد تروق لبعض الناس وأعتذر لمن لا تروق لهم ، بالمثل المصري المشهور : « لولا اختلاف الانظار لبارت السلع في الاسواق » فالسوق يجتمع فيه من يريد الملح ومن يريد السكر والمحتاج الى الخبز او اللحم او الفاكهة ، وناشد الكسوة والثياب الخ ..

حتى يعمر كون الله تعالى على ما اراده قال تعالى : (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة . . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال اني اعلم ما لا تعلمون) .

آمنا بعلم الله وحكمته وتدبيره في خلق هذا العالم الواسع الاطراف بشموسه ،ونجومه ، وكواكبه ، وأقماره ، وأراضيه ، وحكمته في خلق هذا النوع البشري أرقى ما على الارض من حيوان ونبات : (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) .

صدق الله العظيم

لا أحب ان اضيع عليك وقتـــك في مقدمة اطولها ، بل اوفر الك الوقت بايجازها لتصرفه في مطالعة الكتاب وحواشيه.

والحمد لله أولاً وآخراً والسلام على من اتبع الهدى .

صباح الجمعة ١٣ ربيع الآخر عام ١٣٧٦ هـ
١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٥٦ م

كتبه

محمد عبد الرزاق حمزه

المدرس بالحرم المكي - ومدير دار الحديث بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوجد الموجودات ، وجعل فيهـــا دلائل ربوبيته واضحات شاهدات . وصلى الله تعالى على محمد رسوله الى كافة الناس بالبينات الجالية القلوب الى الاقـــرار بالباري وللجاحدين رادعات صادّات . وعلى الأئمة من ذريته سادة الخلق ولهم الى ذي الحق هداة . وعلى إمام عصرنا الحيم ؟ المقيم دعوة الحق بالمطلقين؟ الدعاة . وايد الله داعي هذا الوقت بالمواد اللطيفة والبركات .

(اما بعد) فهذا كتاب يشتمل على حكمة الباري جل وعلا في خلق العالم ومواليده الذي يسكن اليه المؤمنون ويتحير فيه الملحدون لما فيه من صواب القول وسديده الذي ذكره الصادق عليه السلام للمفضل بن عمرو وهو مقطوع اول ورقة والموجود ما يليه هذا نصه وشرفه .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

رواية المفضل بن عمرو

روى محمد بن سنان قال حدثني المفضل بن عمرو قال: كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وانا مفكر فيما خص الله تعالى به سيدنا محمداً صلى الله تعالى عليه وعلى آله من الشرف والفضائل وما منحه واعطاه وشرفه وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة ، وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطير مرتبته فإني كذلك اذ أقبل ابن ابي العوجاء(١) فجلس بحيث اسمع كلامه .

فلما استقر به المجلس اذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس اليه.

فتكلم ابن أبي العوجاء فقال : لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله وحاز الشرف بجميع خصاله ونال الحظوة في كل احواله .

---

(١) اسمه عبدالكريم زنديق . ملحد دهري

فقال له صاحبه انه كان فيلسوفاً ، ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى ، وأتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول وضلت فيها الأحلام ، وغاصت الالباب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات وهي حسير ، فلما استجاب لدعوته العقـــلاء والفصحاء والخطباء دخل الناس في دينه افواجـاً فقـرَن اسمَه باسم ناموسه فصار يهتف به على رؤوس الصوامع ، في جميع البلدان والمواضع ، التي انتهت اليها دعوته وغلبتهـــا كلمته ، وظهرت فيها حجته براً وبحراً وسهلاً وجبلاً في كل يوم وليلة خمس مرات مردَّداً في الاقامة ليتجدد في كل ساعة ذكره لئلا يخمل امره .

فقال ابن ابي العوجاء دع ذكر محمد (صلى الله تعالى عليه وعلى آله) فقد تحير فيه عقلي وضل في امره فكري وحَدِّثْنا في ذكر الاصل الذي نمشي له ثم ذكر ابتداء الاشياء وزعم ان ذلك باهمال لا صنعة فيه ولا تقدير ولا صانع ولا مدبر بل الاشياء تكون من ذاتها بلا مدبر وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال .

قال المفضل فلم أملك نفسي غضباً وحنقاً فقلت يا عدو الله أَلحدْتَ في دين الله وانكرت الباري جل قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم وصورك في أتم صورة ونقلك في أحوالك حتى بلغ بك الى حيث انتهيتَ فلو تفكرت في نفسك وصَدَقك لطيفُ حسكَ لوجدت دلائل الربوبية وآثار الصنعة فيك قائمة وشواهده جل وتقدس في خلقك واضحة وبراهينه لك لائحة .

فقال : يا هذا . ان كنت من أهل الكلام كلمناك فان

ثبتت لك حجة تبعناك وان لم تكن منهم فلا لك كلام وان كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا ولا بمثل دليلك يجادل معنا ، ولقد سمع من كلامنا اكثر مما سمعت فما افحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا وانه للحليم الرزين العاقل الرصين لا يعتريه خُرق ولا طيش ولا نزق يسمع كلامنا ويصغي الينا ويستعرف حجتنا حتى اذا استفرغنا ما عندنا وظننا أنا قطعناه أدحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه رداً فان كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه .

قال المفضل فخرجت من المسجد محزونا مفكراً فيما بُلي به الاسلامُ وأهله من كفر هذه العصابة وتعطيلها . فدخلت على مولاي عليه السلام - يعني جعفراً - فرآني منكسرا فقال مالك فأخبرته بما سمعت من الدَهريين وبما رددتُ عليهما .

فقال يا مفضل لألقين عليك من حكمة الباري جل وعلا وتقدس اسمه في خلق العالم والسباع والبهائم والطير والهوام وكل ذي روح من الانعام ، ومن الشجر المثمر والحبوب والبقول والمأكول ما يعتبر به ويسكن الى معرفته المؤمنون ويتحير فيه الملحدون فبكّر علي غداً .

قال مفضل فانصرفت من عنده فرحاً مسروراً وطالت عليّ تلك الليلة انتظارا لما وعدني به .

فلما أصبحت غدوت فاستؤذنَ لي عليه فدخلت بين يديه فأمرني بالجلوس فجلست ثم نهض الى حجرة كان يخلو فيها ونهضت

بنهوضه فقال اتبعني فتبعته فدخل ودخلت خلفه فجلس وجلست بين يديه .

فقال يامفضل كأني بك وقد طالت عليك هذه الليلة انتظاراً لما وعدتك فقلت : بلى ، أجل يا مولاي .

فقال يا مفضل إن الله تعالى كان ولا شيء قبله وهو باق ولا نهاية له فله الحمد على ما ألهمنا ، والشكر على ما منحنا فقد خصنا من العلوم بأعلاها ومن الفعال بأسناها واصطفانا على جميع الخلق بعلمه وجعلنا مهيمنين عليهم بحكمه .

(فقلت) يا مولاي أتأذن لي أن اكتب ماشرحته وكنت أعددت معي ما أكتب فيه فقال لي : افعل يا مفضل أن الشكاك(١) جهلوا الاسباب والمعاني في الخِلقة وقصرت افهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ الباري جل قدسه وبرأ من صنوف خلقه في البر والبحر والسهل والوعر فخرجوا بقصر علومهم الى الجحود ، وبضعف بصائرهم الى التكذيب والعنود(٢) حتى انكروا خلق الاشياء وادعوا أن تكونها بالاهمال لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع ، تعالى الله عما يصفون وقاتلهم الله أنى يُؤفكون(٣) فهم في ضلالهم وغيهم وتحيرهم بمنزلة عميان دخلوا داراً قد بنيت أتقن بناء وأحسنه ، وفرشت بأحسن الفُرُش وأفخرها وأعد فيها ضروب الاطعمة والاشربة والملابس والمآرب التي يحتاج اليها ولايستغنى

---

(١) جمع شاك من الشك والريب. (٢) العناد . (٣) يصرفون عن الحق الى الباطل

عنها ، ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير ، فجعلوا يترددون فيهـــا يميناً وشمالاً ويطوفون بيوتها إدباراً وإقبالاً محجوبة أبصارهم عنها لا يبصرون بنية الدار وما اعد فيها وربما عثر بعضهم بالشيء الذي قد وضع موضعه واعد للحاجة اليه وهو جاهل للمعنى فيه و لِمَ أُعد ولماذا جعل كذلك؟ فتذمَّر وتسخَّط ذم الدار وبانيها فهذه حال هذا الصنف في انكارهم ما انكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة ، فانهم لما غربت أذهانهم عن معرفة الاسباب والعلل في الاشياء صاروا يجولون في هذا العالم حيارى ولا يفهمون ما هو عليه في اتقان خلقته وحسن صنعته وصواب هيئته وربما وقف بعضهم على الشيء يجهل سببه والارب(١) فيه فيسرع الى ذمه ووصفه بالاحالة والخطأ كالذي أقدمت عليه المانية(٢) الكفرة وجاهرت به الملحدة المـــارقة الفجرة واشباههم من اهل الضلال المعللين أنفسهم بالمحال فيحق على من أنعم الله عليه بمعرفته وهداه لدينه ووفقه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التقدير بالدلالة القائمة الدالة على صانعها أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك ويرغب اليه في الثبات عليه والزيادة منـه فانه جـل اسمـــه يقول « لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » .

---

(١) الفرض والحكمة . (٢) المانوية وهم كفرة المجوس الذين يزعمون للخير والنور الها وللشر والظلام الها آخر وقال فيهم الشاعر :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبرأن المـــانوية تكذب

اول الادلة على الباري جل جلاله

يا مفضل اول العبر والدلالة على الباري جل قدسه بهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي ، فانك اذا تأملت العالم بفكرك وخبرته بعقلك رايته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج اليه عباده فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط والنجوم مضيئة منضودة كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر وكل شيء فيه لشأنه مُعد .

والانسان كالملك لذلك البيت والمخول جميع ما فيه وضروبه المهيأة لمآربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة ونظام وملاءمة ، وان الخالق له هو الذي ألفه ونظمه بعضاً الى بعض جل قدسه وتعالى جده وكرم وجهه ولا اله غيره تعالى الله عما يقول الجاحدون وجل وعظم عما ينتحله الملحدون .

ذكر خلق الانسان

نبدأ يا مفضل بذكر خلق الانسان فاعتبر به .

فاول ذلك تدبير الجنين في الرحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث ظلمـــة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة حيث لا حيلة عنـده في طلب غذاء ولا دفع اذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة فانه يجري اليه من دم أمه ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاءه(١) حتى اذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه(٢) على مباشرة الهواء وبصره على ملاقاة الضياء هاج الطلق بامه فازعجه اشد ازعاج وأعنفه حتى يولد .

فاذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم امه الى ثدييها وانقلب الطعم واللون الى ضرب آخر من الغذاء اللبن وهو اشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته اليه .

---

(١) يتغـــذى الجنين بما يترشح في الرحم من شرايينه وأوردته مما يسمى بالاندسموز فتمتصه شرايينه واوردتـــه ولكل من الام والجنين دورته الدموية لا تختلطان . (٢) جلده .

فحين يولد قد تلمظ وحرك شفتيه طلباً للرضاع(١) فهو يجد ثديي امه كالاداوتين المعلقتين بصدرها لحاجته فلا يزال يغتذي باللبن ما دام رطب البدن رقيق الأمعاء لين الاعضاء .

حتى اذا تحرك واحتاج الى غـذاء فيه صلابة ليشتد ويقوى بدنه طلعت له الطواحين من الاسنان والاضراس يمضغ بها الطعام فيلين عليه ويسهل له إساغته(٢) فلا يزال كذلك حتى يدرك .

فاذا أدرك وكان ذكراً تميز الرجل بالذي يخرج به من حد الصبا وشبه النساء(٣) وان كانت انثي يبقى وجهها نقياً من الشعر(٤) لتبقى لها البهجة والنضارة التي تحرك الرجل لما فيه دوام النسل وبقاؤه .

اعتبر يا مفضل فيما يدبر به الانسان في هذه الاحوال المختلفة هل مثله يمكن أن يكون بالأهمال ؟.

افرأيت لو لم يجر اليه ذلك الدم وهو في الرحم الم يكن يذبل أو يجف كما يجف النبات اذا فقد المـــاء ؟ ولو لم يزعجه المخاض عند استحكامه الم يكن سيبقي في الرحم ؟ ولو لم يوافقه اللبن بعد ولادته ألم يكن سيموت جوعاً أو يغتذي بغذاء لا

---

(١) بطريق الغريزة التي اودعها الله في الحيوان تسوقه بغير شعور الى ما ينفعه كما قال تعالى في جواب موسى لفرعون (ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) .

(٢) اي مع مايمتزج به من اللعاب الذي يلين الطعام ويهضم النشويات بعض الهضم.

(٣) اي باللحية والشارب وخشونة الصوت وقوة البدن واعضاء التذكير .

(٤) مع ما تزود به من مفاتن الانوثة ككبر الثديين والعجيزة وبضاضة الفخذين والساقين والسواعد وسائر الجسد .

يلائمه ولا يصلح عليه بدنه ؟ ولو لم تطلع له الاسنان في وقتها الم يكن امتنع عليه مضغ الطعام واساغته ؟ او يقيمه على الرضاع فلا يشتد بدنه ولا يصلح لعمل؟ ثم كان يشغل امه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد ، ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيبقى في هيئة الصبيان والنساء ؟ فلاترى له جـــلالة ولا وقـــارا .

فقال مفضل فقلت له يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حاله ولا ينبت الشعر في وجهه وان بلغ الكبر .

فقال : « ذلك بما قدمت أيديهم وان الله ليس بظلام للعبيد » فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب الا الذي انشأه خلقاً بعد ان لم يكن ثم توكل له بمصلحته بعد ان كان ، فان كان الاهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير يأتيان بالمحال لانها ضد الاهمال وهذا فظيع من القول وجهل من قائله لان الاهمـال لا يأتي بالصواب ، والتضاد لا يأتي بالنظام تعالى الله عما يقول الملحدون علواً كبيراً .

ولو كان المولود فهماً عاقلاً لأنكر العالم عند ولادته ولبقي حيران تائه العقل اذا رأى ما لا يعرف وورد عليه ما لم يرمثله من اختلاف صور العالم والطير والبهائم الى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم .

واعتبر ذلك بأن من مشى من بلد الى بلد وهو عاقل يكون كالوالِهِ الحيران فلا يسرع الى تعلم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الذي سُبِيَ صغيراً غير عاقل .

ثم لو ولد عاقلاً كان يجد غضـــاضة اذا رأى نفسه محمولا مُرضعاً معصباً بالخرق مسجى في المهد لأنه لا يستغني عن هذا كله لرقة بدنه ورطوبته (١) ، ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج الى الدنيا غبياً غافلاً عما فيه اهله فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يزيد في المعرفة قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء حتى يألف الاشياء ويتمرن ويستمر عليها فيخرج من حد التأمل والحيرة فيها الى التصرف والاضطراب (٢) في المعايش بعقله وحيلته ، والى الاعتبار والطاعة ، والسهو والغفلة والمعصية .

وفي هذا ايضاً وجوه أخر فانه لو كان يولد تام العقل مستقلاً بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد وما قدر ان يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وماتوجب التربية للأباء من المكافآت بالبر والعطف عليهما عند حاجتهما الى ذلك منهم.

ثم كان الاولاد لا يألفون آباءهم لان الاولاد حينئذ يستغنون عن تربية الآباء وحياطتهم فيتفرقون عنهم حين يولدون فـــلا يعرف الرجل أباه وأمه ولا يمتنع من نكاح أمه واخته وذوات المحارم منه اذ كان لا يعرفها .

واقل ما في ذلك من القباحة بل هو اشنع وأعظم وافظع وأفج وأبشع ما لو خرج المولود من بطن أمه وهو يعقل ان يرى

---

(١) فضاضة غضه وعظمه (٢) اي التنقل والدوران

منها ما لا يحل له ولا يحسن به أن يراه(١) .

افلا ترى كيف اقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب وخلا من الخطأ دقيقه وجليله؟ ... اعرف يا مفضل ما للأطفال في البكاء من المنفعة واعلم ان في ادمغة الأطفال رطوبة ان بقيت فيها احدثت عليهم احداثاً جليلة وعللا عظيمة من ذهاب البصر وغيره والبكاء يسيل تلك الرطوبة من رؤوسهم فيعقبهم ذلك الصحة في ابدانهم والسلامة في ابصارهم أفليس جاز ان يكون الطفل ينتفع بالبكاء ووالداه لا يعرفان ذلك فهاد ائيبان يسكنانه ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان ان البكاء أصلح له واجمل عاقبة(٢) .

فهكذا يجوز ان يكون في كثير من الاشياء منافع لا يعرفها القائلون بالاهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على شيء انه لا منفعة فيه من اجل انهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فان كل مالا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون وكثيراً ما يقصر عنه علم المخلوقين ويعلمه الله جل قدسه وعلت كلمته .(وما اوتيتم من العلم الا قليلا).

فاما ما يسيل من افواه الاطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو ثبتت في أبدانهم لاحدثت عليهم الامور العظيمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته الى حد البله

---

(١) فرجها ودبرها (٢) في البكاء ايضاً تخفيف الحيوية عن اعصاب الباكي وتنشيط الرئة والمعدة والامعاء ودورة الدم .

والجنون والتخليط الى غير ذلك من الامراض المتلفة كالفالج(١) واللقوة وما اشبهها فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من افواههم في صغرهم لمالهم في ذلك(٢) من الصحة في كبرهم فتفضل على خلقه بما جهلوه ويظهر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التمادي في معصيته فسبحانه ما اجل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه وتعالى عما يقول المبطلون علواً كبيراً.

انظر الآن يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والانثى جميعاً على ما ذلك عليه فجعل للذكر آلة ناشرة تمتد حتى تصل المضغة الى الرحم اذ كان محتاجا الى ان يقذف مادة في غيره وخلق للانثى وعاء يشتمل على المائين جميعاً ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم اليس ذلك من تدبير اللطيف سبحانه وتعالى عما يشركون .

فكر يا مفضل في اعضاء البدن أجمع وتدبير كل منها للاداء ، فاليدان للعلاج ، والرجلان للسعي ، والعينان للاهتداء والرؤية والفم للاغتذاء والمضوغ والمعدة للهضم والكبد للتخليص(٣) والمنافذ(٤) لتنفيذ الفضول والأوعية لحملها ، والفرج

---

(١) الفالج شلل في احد جانبي الجسد من يد ورجل وعين واذن سببه انقطاع عرق دموي يسيل منه الدم في المخ ، واللقوة صداع في احد جانبي الرأس .

(٢) عرف من فوائد اللعاب ترطيب اللسان والشفتين وهضم المواد النشوية عند المضغ ولعل ما زاد في فم الاطفال منه ما لا حاجة لهم منه .

(٣) تخليص الدم من الصفراء لتنصب في الامعاء فتهضم المواد الدهنية وتلين البراز فيخرج بسهولة خارج البدن ويذهب الدم الخالص الى دورته.

(٤) يعني الدبر والقبل والانف وغدد الدمع في العينين ومسام الجلد .

لاقامه النسل وكذلك جميع الأعضاء اذا ما تأملتها وأعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة.

قال مفضل فقلت يا مولاي ان قوماً يزعمون ان هذا من فعل الطبيعة ؟

فقال: سلهم عن هذه الطبيعة ؟ أهي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الافعـــال ام ليست كذلك فان أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعهم من اثبات الخالق فان هذه صفته، وان زعموها تفعل هذه الافعال بغير علم ولا عمد وكان في افعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة علم ان هذا الفعل للخالق الحـــكيم فان الذي سموه طبيعة هو سنته في خلقه الجارية على ما اجراه عليه

فكر يا مفضل في وصول الغـــذاء الى البدن وما فيه من التدبير فان الطعام يصير الى المعدة فتطبخه(١) وتبعث بصفوه الى الكبد(٢) في عروق دقاق واشجة بينهما قد جعلت كالمصفى للغذاء لكيلا يصل الى الكبد منه شيء غير مهضوم فينكأها وذلك ان الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ثم أن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً وينفذه الى البدن كله في مجاري(٣) مهيئة لذلك

---

(١) تضمه بالعصارات المعدية التي تهضم منه المواد البروتونية من زلال اللحم والخبز والبيض واللبن الخ .

(٢) بعد ما يمر بالامعاء الدقاق والمصارين ويهضم فيها المواد النشوية والدهنية والسكرية ثم تتحول الى مستحلب يمتص بغدد الامعاء الى البكدثم الى دورة الدم.

(٣) هي الاوردة والشرايين التي يجري فيها الدم بدفعات القلب ويتصفى في الرئتين من ثاني اوكسيد الفحم السام ويأخذ بدله اوكسجينا صافياً يمد البدن باتحاده بالمواد السكرية والدهنية والنشوية بالقوة والحرارة والدفء في عملية احتراق بطيء

بمنزلة المجاري التي تهيأ للماء ليطرد في الارض كلها وينفذ ما يخرج منه من الخبيث والفضول الى مغايض قد اعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى الى المرارة وما كان من جنس السوداء(١) جرى الى الطحال وما كان من البلة والرطوبة جرى الى المثانة فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه الاعضاء منه مواضعها واعداد هذه الاوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه فتبارك من احسن التقدير وأحكم التدبير وله الحمد كما هو أهله ومستحقه .

قال مفضل يا مولاي صف نشوء الابدان ونموها حالاً بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال .

قال عليه السلام أول تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج سويا مستوفياً جميع ما فيه

---

(١) ذكر السوداء وجريها الى الطحال مما عرف عن اوائل الاطباء من اليونان والعرب اذ قسموا طبائع الحيوان والانسان اربعا والعناصر اربعاً اما الان فالطحال مخزن الدم ما زاد فيه عن الحاجة وفيه تفنى الكريات الحمراء الهرمة في الدم ويرسل بعناصرها الى مخ العظام لتتولد من جديد كريات اخرى شابة والصفراء تفرزها الكبد من الدم لان بقاءها فيه يولد اليرقان ثم تجمع في حويصلة صغيرة هي حويصلة المرارة لتخرج منها بقناة الى الامعاء الصغيرة فتهضم المواد الدهنية، والكليتان تفرزان البول وفيه مخترقات المواد البروتونية من البولينا وغيرها من مخلفات خلايا البدن ولها حالبان يسير فيهما البول حتى يتجمع في المثانة لوقت خروجه بارادة الانسان واللعاب يفرز لترطيب الفم واللسان وهضم النشويات ودمع العين لغسلها وترطيب الجفون والمخاط لترطيب الانف الخ . .

قوامه وصلاحه من الأحشـــاء والجوارح والعوامل الى ما في تركيب الاعضاء العظـــام من العظم واللحم والعصب والمخ والعروق والغضاريف .

فإذا خرج الى العالم كيف تراه ينمو بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص(١) الى أن يبلغ اشده ان مده في عمره أو يستوفي في مدته قبل ذلك .

هل هذا الا من لطيف التدبير والحكمة .

يا مفضل انظر الى مـــا خص به الانسان في خلقه تشريفاً وتفضيلاً على البهائم فانه خلق ينتصب قائمـــاً ويستوي جالساً يستقبل الأشياء ببدنه وجوارحه ويمكنه العـلاج (٢) والعمل فيها(٣) ولو كان مكبوباعلى وجهه كذوات الاربع لما استطاع ان يعمل شيئاً من الاعمال .

انظر الآن يا مفضل الى هذه الحواس التي خص بها الانسان في خلقه وشرّف بها على غيره كيف جعلت العين في الرأس كالمصابيح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الاشياء ولم تجعل في الاعضاء التي تحتها كاليدين والرجلين فتعرضها للآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ، ولا في الاعضاء التي وسط البدن كالبطن والظهر فيعسر تقلبها

---

(١) يعني ان اعضاءه وصورته البدنية على نظام ثابت لا يزيد في اعضائه ولا ينقص منها . (٢) معالجة اعماله وممارستها .
(٣) في القيام والجلوس.

واطلاعها نحو الاشياء فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها فجعل الحواس خمساً لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات، فخلق البصر ليدرك الالوان(١) ولو لم يكن بصر يدرك لما تكن فيها منفعة، وخلق السمع ليدرك الاصوات فلو كانت اصوات ولم يكن سمع يدرك لما لم يكن فيها ارب(٢) وكذلك سائر الحواس.

ثم هذا يرجع متكافئاً فلو كان سمع ولم تكن اصوات لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقى بعضاً فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه، ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا تتم الحواس الا بها كمثل الضياء والهواء(٣) فانه لو لم يكن الضياء يظهر اللون لم يكن البصر يدرك اللون ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت الى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت(٤).

فهل يخفى على من صح نظره واعمل فكره ان مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقى(٥) بعضا وتهيئة اشياء اخر بها تتم الحواس لا يكون الا بعمل وتقدير من لطيف خبير.

فكّر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في اموره فانه لا يعرف موضع قدميه ولا يبصر ما بين

---

(١) التي يعكسها على العين سقوط النور عليها. (٢) غرض ونفع
(٣) الضياء لرؤية الالوان والهواء لتموج الاصوات
(٤) ذكروا انه لو اطلق مدفع على سطح القمر بجوار اذنك لم تسمعه لعدم وجود الهواء على سطح القمر (٥) اي بعضه سبب لبعض وشرط فيه.

يديه فلا يفرق بين الالوان وبين المنظر الحسن والقبيح ولا يرى حفرة ان هجم عليها وعدوا ان امرؤ اهوى اليه بسيف ولا يكون له سبيل الى ان يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة[1] والنجارة والصياغة حتى انه لولا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى (هل يستوي الاعمى والبصير)

وكذلك من عدم السمع يختل في امور كثيرة فانه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الاصوات واللحون المشجية المطربة وتعظم المؤنة على الناس في محاورته حتى ينبرّ موابه ولا يسمع شيئاً من اخبار الناس واحاديثهم حتى يكون كالغائب وهو شاهد او كالميت وهو حي (ام هل يستوي الاصم والسميع)

فاما من عدم العقل فانه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيراً مما تهتدي اليه البهائم (اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون).

افلا ترى كيف صارت الجوارح والعقل وسائر الخلال التي بها صلاح الانسان والتي لو فقد منها شيئاً لعظم ما يناله في ذلك من الخلل في خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئاً منها لم يكن كان كذلك الا أنه خَلْق بعلم وتقدير .

قال المفضل فقلت لم صار بعض الناس يفقد شيئاً من هذه الجوارح فيناله من ذلك مثل ما وصفته يا مولاي .

قال عليه السلام ذلك للتأديب والموعظة لمن يحل ذلك به

---

(١) علموا العميان نوعاً من الكتابة المجسمة يعرفونها بلمس الاصابع تسمى طريقة بريل باسم مخترعها ولكنها تخصهم هم ولا تغني غناء البصر .

ولغيره بسببه كما قد يؤدب الملوك الناس للتنكيل والموعظة فلا ينكر ذلك عليهم بل يحمد من رأيهم ويتصوب من تدبيرهم ثم ان للذين تنزل بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت ان شكروا وانابوا ما يستصغرون معه ما نالهم منها حتى أنهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا ان يردوا الى البلايا ليزدادوا من الثواب (١) .

فكّر يا مفضل في الاعضاء التي خلقت افراداً وازواجاً ما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير ، فالرأس مما خلق فرداً ولم يكن للانسان صلاح في ان يكون له اكثر من واحد، الا ترى انه لو اضيف الى رأس الانسان رأس آخـــر لكان ثقلا عليه من غير حاجة اليه لان الحواس التي يحتاج اليها مجتمعة في رأس واحد ، ثم كان الانسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان، فان تكلم من أحدهما كان الآخر معطلا لا ارب فيه ولا حاجة اليه وان تكلم منهما جميعاً بكلام واحد كان احدهما فضلًا لا يحتاج اليه، وان تكلم من احدهما بغير الذي يتكلم به الآخر لم يدر السامع بأي ذلك يأخذ، وأشباه هذا من الاخلال

واليدان مما خلق ازواجاً ولم يكن للانسان خير في ان يكون له يد واحدة، لان ذلك كان يخل به فيما يحتاج الى معالجته من الاشياء الا ترى ان النجار والبناء لو شلت احـــدى يديه لا يستطيع ان يعالج صناعته وان تكلف ذلك لم يُحكمه ولم يبلغ منها ما يبلغه اذاً كانت يداه تتعاونان على العمل .

---

(١) جاء في الحديث ان أهل العافية يوم القيامة يتمنون ان تكون قرضت ابدانهم بالمقاريض لما يرون من ثواب أهل البلاء .

أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهيئة آلاته في الانسان فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والاسنان لصياغة الحروف والنغم الا ترى من سقطت اسنانه لم يُقِم السين [1] ومن فقد شفته لم يصحح الفاء ومن ثقل لسانه لم يقم الراء واشبه شيء بذلك المزمار الأعظم فالحنجرة تشبه قصبة المزمار والرئة تشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخله الريح [2] والعضلات التي تقبض على الرئة ليخرج الصوت كالاصابع التي تقبض على الزق حتى خرج الريح في المزامير ، والشفتان والاسنان التي تصوت الصوت حروفاً ونغماً كالاصابع التي تختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره الحاناً غير انه وان كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف فإن المزمار بالحقيقة هو المشبه بمخرج الصوت .

قد انبأتك بما في الأعضاء من الغناء في صنعة الكلام واقامة الحروف وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب اخرى فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم الى الرئة فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لو حبس شيئاً يسيراً لهلك الانسان [3] وباللسان

---

(١) والذال والدال (٢) فضلا عن كونها عضوا مهما للحياة بتصفيتها الدم من ثاني اكسيد الفحم الضار بالبدن وامداده بالاكسجين الذي لايحيا بدونه .

(٣) لاحتباس غاز ثاني اكسيد الكربون بالبدن وهم سام وحرمانه من الاكسجين الضروري لحياة البدن لتوليد الحرارة والقوة فيه باتحاده بمواد وقود البدن من الدهنيات والسكريات ، ولتشوبات فتتولد من الاتحاد الحرارة اللازمة لحياة البدن .

تذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوَها من مرها وحامضها من مزها ومالحها من عذبها وطيبها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة على اساغة الطعام والشراب[1]،

والاسنان لمضغ الطعام حتى يلين وتسهل اساغته وهي من ذلك كالسند للشفتين تمسكها وتزاعمها من داخل الفم واعتبر ذلك فانك ترى من سقطت اسنانه مسترخي الشفة ومضطربها وبالشفتين يرتشف الشراب حتى يكون الذي يصل الى الجوف منه بقصد وقدر، لا يثجثج ثجا فيغص به الشارب أو ينكأ في الجوف ثم هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحها الانسان اذا شاء ويطبقها اذا شاء وفيما وصفنا من هذا بيان ان كل واحد من هذه الاعضاء يتصرف وينقسم الى وجهته من المنافع كما تتصرف الأداة الواحدة في أعمال شتى وذلك كالفأس تستعمل في النجارة والحفر وغيرهما من الاعمال .

ولو رأيت الدماغ اذا كشف عنه[2] لرأيته قد لف بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأعراض وتمسكه فلا يضطرب، ولو رأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما تقيه حد الصدمة والصكة التي ربما وقعت في الرأس ثم كسيت الجمجمة بالشعر حتى صارت بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدة الحر والبرد، فمن حصن

---

(١) فضلا عن تفصيل الحروف والكلام ، كما تقدم

(٢) لو وقفت على تشريح المخ وما فيه من مراكز السمع والبصر والشم والاحساس والحركة وانه مركز تدبير البدن وحياته لازددت ايماناً بخالقه وتعظيما لحكمته وقدرته وعلمه ورحمته .

الدماغ هـــذا التحصين الا الذي خلقه وجعله ينبوع الحس والمستحق للحياطة والتحصين بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطير مرتبته .

تأمل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل كالغشاء والاشفار كالاشراج وأولجها في هذا الغار واظلها بالحجاب وما عليه من الشعر .

يا مفضل من غيب الفؤاد في جوف الصدر وكساه المدرعة التي هي غشاؤه وحصنه بالجوانح وما عليها من اللحم والعصب [1] لئلا يصل اليه ما ينكأه ، مَنْ جعل في الحلق منفذين أحدهما لمخرج الصوت وهو الحلقوم المتصل بالرئة والآخر منفذ للغذاء وهو المريء المتصل بالمعدة الموصل الغذاء اليها وجعل من الحلقوم طبقاً يمنع الطعام أن يصل الى الرئة فيقتل [2] ، من جعل الرئة مروحة الفؤاد لا تفتر ولا تخل لكيلا تتحيز الحرارة في الفؤاد فتؤدي الى التلف [3] ، من جعل لمنافذ البول والغائط شرجاً يضبطهما لئلا يجريان دائماً فيفسد للانسان عيشه ، فكم عسى ان يحصي المحصي من هـذا

---

(١) وقسمه اربعة اقسام اذينين وبطينين يسحب الدم من الاوردة بانقباض احد البطينين ويندفع بانقباضه الى أحد الاذينين ويندفع بانقباضه الى الرئتين وينسحب منها بانبساط البطين الاخر فهو دولاب ماص دافع وهذه النبضات التي يعرف منها الطب حالته الصحية هي انقباض خزائنه وانبساطها .

(٢) واذا تنفس الانسان بكلام او نحوه وقت بلع الطعام حصل له مايسمى الشرقة او الغصة وسعل كثيراً لدفع ما دخل الحلقوم من ماء او طعام .

(٣) بل حتى لا يتسمم البدن بغاز ثاني او اكسيد الفحم ويحرم مما يلزمه من الاكسجين الذي به حياته .

بل الذي لا يحصى منه ولا يعلمه الناس اكثر ، من جعل المعدة عصبانية شديدة وقدراً لهضم الطعام الغليظ[1] ومن جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفي اللطيف من الغذاء لتهضم وتعمل ما هو الطف من عمل المعدة الا الله القادر .

أترى الاهمال يأتي بشيء من ذلك كلا بل هو تدبير مدبر حكيم قادر عالم بالاشياء قبل خلقه اياها لا يعجزه شيء وهو اللطيف الخبير (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) .

فكر يا مفضل لِمَ صار المخ الرقيق[2] محضناً في أنابيب العظام هل هذا الا ليحفظه ويصونه ، لِمَ صار الدم السائل محصوراً في في العروق[2] بمنزلة الماء في الظروف الا لتضبطه فلا يفيض ، لِمَ صارت الاظفار على اطراف الاصابع الا وقاية لها ومعونة على العمل ، لم صار داخل الاذن ملتوياً كهيئة اللولب الا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي الى السمع وليكسر حمية الريح فلا ينكأه ، لِمَ حمل الانسان على فخذيه واليته هذا اللحم الا ليقيه من الأرض فلا يتألم من الجلوس عليها كما يألم من نحل جسمه وقل لحمه اذا لم يكن بينه وبين الارض حائل يوقيه صلابتها ، من جعل الانسان ذكراً وأنثى الا من خلقه متناسلاً[3] ومن

---

(١) بما تفرزه عليه من عصارات وبما يتصبب حولها من الدم الذي يسخنها ثم يحركها انقباضاً وانبساطا . (٢) يريد به النخاع الذي بداخل سلسلة الظهر وتجويف عظم الفخذ والساق والعضد والساعد (٣) شرايين لتوزيعه على البدن واوردة لرده الى القلب ثم الى الرئتين ليتصفى ويستمد اوكسجين .

(٤) (الم يكن نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى) .

جعله عاملاً الا من خلقه مؤملاً ومن أعطاه آلات العمل الا من خلقه عاملاً ، ومن خلقه عاملا الا من جعله محتاجـــاً ، ومن جعله محتاجاً الا من ضربه بالحاجة ، ومن ضربه بالحاجة الا من توكل بتقويمه ، ومن خصه بالفهم الا من اوجب له وعليه الجزاء ، ومن وهب له الحيلة الا من ملكه الحول[1] ، ومن ملكه الحول الا من الزمه الحجة من يكفيه مالا تبلغه حيلة الا من لا يُبلغ مدى شكره .

فكر وتدبر ما وصفته هل تجد الاهمال يأتي على مثل هذا النظام والترتيب ؟ تبارك الله وتعالى عما يصفون .

اصف لك الآن يا مفضل الفؤاد اعلم ان فيه ثقباً من جهة نحو الثقب التي في الرئة تروح عن الفؤاد[2] حتى لو اختلفت تلك الثقب وتزايل بعضها عن بعض لما وصل الروح الى الفؤاد ولهلك الانسان فيستهجن من ذي فكرة وروية ان يزعم ان مثل هذا يكون بالاهمال أو يحدث عن نفسه .

لو رأيت فرداً من مصراعين فيه كلوب أكنت تتوهم أنه جعل كذلك بلا معنى بل كنت تعلم ضرورة انه مصنوع لأن فرداً آخر مرززاً ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة وهكذا تجد الذكر من الحيوان كأنه فرد من زوج مهيأ لفرد أنثى فيلتقيان لما فيه دوام النسل وبقائه فتباً وخيبة لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتى انكروا التدبير والعمد .

---

(١) القوة والتحول (٢) بل ليخرج منه الدم الى الرئتين ليخلص من سمومه الاسيدية ويتزود باكسجينه النقي .

فكر فيما لو كان فرج الرجـــل مسترخياً كيف كان يصل الى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ولو كان منعظاً كيف كان الرجل يتقلب في الفراش ويمشي بين الناس وشيء شاخص امامه (ومن وسطه هو ذكره) ثم يكون في ذلك قبح المنظر وتحريك للشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعاً ، فقدر الله جل اسمه ان يكون ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال منه مؤنة بل جعل فيه قوة الانتصاب وقت الحاجة الى ذلك لمـــا قدر ان يكون فيه من دوام النسل[1] وبقائه .

اعتبر يامفضل بعظم النعمة على الانسان في مطعمه ومشربه[2] وتسهل خروج الأذى اليس من حسن التقدير في بناء الدار ان يكون الخلاء في أستر موضع منها فكذا جعل الله سبحانه المنفذ[3] المهيأ للخلاء من الانسان في أستر موضع منه فلم يجعله بارزاً من خلفه ولا ناشزاً من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان وتحجبه الأليتان بما عليهما من اللحم فتواريانه فاذا احتاج الانســـان الى الخلاء وجلس تلك الجلسة الفى ذلك المنفذ منه منصباً مهيأ لانحدار

---

(١) وانتصابه بانقبـــاض عضلات ما بين المخرجين فيحتبس الدم في اوردة الذكر وينتصب مثل انبوب من المطاط تملأه ماء فينتفخ.

(٢) (فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فانبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعاً لكم ولانعامكم). (٣) يعني دبره بين ألتيه وموضع قعوده .

الثقل فتبارك من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعماؤه .

فكر يا مفضل في هذه الطواحن التي جعلت للانسان فبعضها حداد[1] لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض[2] لمضغه ورضه فلم ينقص واحد من الصفتين اذ كان محتاجاً اليهما جميعاً .

تأمل واعتبر بحسن التدبير بخلق الشعر والاظفار فانهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج الى تخفيفه اولا فأولا جعلا عديمي الحس لئلا يؤلم الانسانَ الاخذُ منهما ، ولو كان قص الشعر وتقليم الاظفار مما يوجد له الم وقع من ذلك بين مكروهين اما ان يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه واما ان يخففه بوجع والم منه .

قال مفضل فقلت فلم لم يجعل ذلك خلقة لا يزيد فيحتاج الانسان الى النقصان منه .

فقال عليه السلام ان لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعما لا يعرفها فيحمد عليها علم ان آلام البدن[3] وادواءه تخرج بخروج الشعر في مسامه وبخروج الاظفار من أناملها ولذلك امر الانسان بالنورة وحلق الرأس وقص الاظفار في البنان فتخرج الآلام والادواء بخروجها واذا طالا تحيراً وقل خروجها

---

(١) القواضم من الثنايا والانياب .

(٢) الاضراس من الجانبين وللانسان ٣٢ سناً ١٦ في الفك الاعلى ٤ ثنايا ونابان وعشرة اضراس مثلها في الفك الاسفل .

(٣) حكمة نسلها لعلم الصادق وان كنا لم نر من قالها غيره من اهل العلم التجريبي وفوق كل ذي علم عليم .

فاحتبست الآلام والادواء في البدن فأحدثت عللاً واوجاعاً ومنع مع ذلك الشعر من المواضع التي تضر بالانسان وتحدث عليه الفساد والضرر لو نبت الشعر في العين ألم يكن سيعمى البصر[1] ولو نبت في الفم ألم يكن سينغص على الانسان طعامه وشرابه ولو نبت في باطن الكف ألم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض الاعمال ولو نبت في فرج المرأة وعلى ذكر الرجل الم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع فانظر كيف تنكب الشعر بحكمة الله عن هذه المواضع لما في ذلك من المصلحة ثم ليس هذا في الانسان فقط بل تجده في البهائم والسباع وسائر المتناسلات فانك ترى أجسامها مجللة بالشعر وترى هذه المواضع خالية منه لهذا السبب بعينه

فتأمل الخلقة كيف تتجوز[2] وجوه الخطأ والمضرة وتأتي بالصواب والمنفعة

ان المنانية[3] واشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة والعمد عابوا الشعر النابت على الركب والابط ولم يعلموا ان ذلك من رطوبة تنصب الى هذه المواضع ينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه[4] افلا ترى الى هذه المواضع استرواأهيأ لقبول تلك الفضلة من غيرها ثم ان هذه تعدما يحمل الانسان من مؤنة هذا البدن وتكاليفه لما في ذلك من المصلحة

(١) ولم يتأذى من ينتبت لهم شعر داخل جفونهم ويراجعون اطباء العيون لاستضئالها والا اذت حدقة العين وليس هو شعرا نبت في عيونهم ونكنه شعر الجفون مال الى الداخل . (٢) تجاوزه وقبتعد عنه (٣) المانوية المجوس اصحاب فكرة الهين للنور والظلام والخير والشر .

(٤) حكمة كالسابقة انفا من شاء فليسلم لها .

فان اهتمامه بتنظيف بدنه واخذ ما يعلوه من الشعر مما يكسر به شرته ويكف عاديته ويشغله عن ما يخرجه اليه الفراغ من الأشر والبطالة

تأمل الريق وما فيه من المنفعة فانه جعل يجري جريانا دائما الى الفم ليبل الحلق واللهوات (٢) فلا تجف فان هذه المواضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الانسان ثم كان لا يستطيع ان يسيغ طعاماً اذا لم يكن في الفم بلة تنقذه تشهد بذلك المشاهدة واعلم ان لرطوبة مطية الغذاء (٣) وقد تجري من هذه البلة الى موضع اخر من المرة فيكون في ذلك صلاح تام للانسان ولو يبست المرة لهلك الانسان .

ولقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعفة المتفلسفين بقلة التمييز وقصر العلم لو كان بطن الانسان كهيئة القباء فيفتحه الطبيب اذا شاء فيعاين ما فيه ويدخل يده فيعالج ما اراد علاجه لم يكن اصلح من ان يكون مصمتاً محجوباً عن البصر واليد ولا يعرف مافيه الا بدلالات غامضة كمثل النظر الى البول وجس العرق وما اشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك سبباً للموت (٤) فلو علم هؤلاء الجهلة ان هذا لو كان هكذا كان اول ما فيه ان كان

---

(١) ويهضم النشويات (٢) حتى قالوا ان جميع خلايا البدن تسبح في بحر من الماء « وجعلنا من الماء كل شيء حي ».

(٣) أغنى الله عن هذا الخيال الفاسد بما الهم من اختراع اشعة روتنتجن الاشعة التي تشق باطن الجسد بغير فتح ولا اقفال وصورت اعضاء البدن بها على مصورات تصف داخل هذه الاعضاء وصفا نافعا مفيدا وعرف بها شكل العظام والاجسام الغريبة تدخل البدن وسير الطعام في البدن الخ.

يسقط عن الانسان الوجل من الأمراض والموت وكان يستقر فيخرجه ذلك الى العتو والأشر ثم كانت الرطوبات الى البطن تترشح وتنحل فيفسد على الانسان مقعده ومرقده وثياب بدلته وزينته بل كان يفسد عليه عيشه ثم ان المعدة والكبد والفؤاد انما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها الله محبّسة في الجوف فلو كان في البطن فرج ينفتح حتى يصل البصر الى رؤيته واليد الى علاجه لوصل برد الهواء الى الجوف فمازج الحرارة الغريزية وبطل عمل الاحشاء فكان في ذلك هلاك الانسان افلا ترى أن كل ما تذهب اليه الاوهام سوى ما جاءت به الخلقة خبط وخلط.

فكر يا مفضل في الافعال التي جعلت في الانسان من الطعم والنوم والجماع وما دير فيها فانه جعل لكل انسان مع واحد منها في طباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث به فالجوع يقتضي الطعم الذي فيه نمو البدن والنعـــاس يقتضي النوم الذي فيه راحة البدن واجمام قواه والشبق يقتضي الجمـــاع الذي فيه دوام النسل وبقاؤه[1] ولو كان الانسان انما يصير الى اكل الطعام بمعرفته لحاجة بدنه اليه ولم يجد من طباعه شيئاً يضطرب الى ذلك كان خليقا ان يتوانى عنه أحياناً بالثقل والكسل حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج الواحد الى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه فيدافع به حتى يؤديه ذلك الى المرض والموت وكذلك لو كان انما يصير الى النوم بالتفكر في حاجته الى راحة البدن واجمام قواه كان عسى ان يتثاقل عن ذلك فيدفعه حتى ينهك بدنه ولو كان انما يتحرك

(١) وكل اولئك بغدد وغرائز تدفعه الى ذلك دفعا اراد ام ابى كما قال تعالى (ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (والذي قدر فهدى)

للجماع في الرغبة في الولد كان غير بعيد ان يفتر عنه حتى يقل النسل وينقطع فان من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الافعال التي هي قوام الانسان وصلاحه محركا من نفس الطبع يحركه بذلك ويحدوه عليه[1]

واعلم ان في الانسان قوى اربعاً قوة جاذبة تقبله الطعام وتورده على المعدة وقوة ممسكة تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها وقوة هاضمة وهي التي تطبخه وتستخرج صفوه وتبثه في البدن وقوة دافعة تدفعه وتحدر الثقل الفاضل بعد اخذ الهاضمة حاجتها ففكر في تقدير هذه القوى الأربعة التي في البدن وافعالها وتقديرها للحاجة اليها والأرب فيها وما في ذلك من التدبير والحكمة

فلولا الجاذبة كيف كان يتحرك الانسان لطلب الغذاء الذي به قوام البدن ولولا الماسكة كيف يثبت الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة ولولا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسد خلله ولولا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج أولا فأولا أفلا ترى كيف وكلّ الله سبحانه بلطف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن للقيام بما فيه صلاحه وسأمثل لك مثالاً ان البدن بمنزلة دار الملك له فيها حشم وصبية وقوّام موكلون بالدار فواحد لقضاء حوائج الحشم وايرادها عليهم وآخر لقبض ما يرد وخزنه الى ان يعالج وييأ وأخر لعلاج ذلك وتهيئته

---

(١) وذلك كله بغدد وهرمونات لها مراكز في المخ والنخاع . (صنع الله الذي اتقن كل شيء).

وتفريقه وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار واخراجه منها فالملك في هذا هو الخالق الحكيم ملك العالمين ، والدار هي البدن ، والحشم هي الأعضاء ، والقوام هي هذه القوى الاربع ولعلك ترى اذا ذكرنا هذه القوى الاربع وافعالها بعد الذي وصفت فضلا وتزداد اذ ليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الاطباء ولا قولنا فيه كقولهم لانهم ذكروها على ما يحتاج اليه في صناعة الطب وتصحيح الابدان وذكرناها على ما يحتاج اليه في صلاح الدين [1] وشفاء النفوس من الغي كالذي اوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها .

(مطلب في قوى النفس الانسانية)

تأمل يا مفضل هذه القوى التي في النفس وموقعها في الانسان أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك أفرأيت لو نقص الانسان من هذه الحفظ وحده كيف تكون حاله وكم من خلل يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجارته اذا لم يحفظ ماله وما عليه وما اخذه وما أعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له ولم يذكر من أحسن اليه ممن أساء به وما نفعه مما ضره ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه مالا يحصى اولا يحفظ علماً ولو درسه عمره ولا يعتقد دنياً ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع أن يعتبر شيئاً على ما مضى بل كان حقيقا خليقا أن ينسلخ من

---

١ وعلم التسيولوجيا ومنافع الاعضاء خير كفيل بذلك وفيه العبرة لمن يعتبر .

الانسانية فانظر الى الانسان في هذه الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع .

واعظم من النعمة على الانسان في الحفظ النعمة في النسيان فلولاه لما سلا أحد عن مصيبة ولا تقضت له حسرة ولا مات له حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ولا رجا غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد أفلا ترى كيف جعل في الانسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل في كل واحد منهما ضرباً من المصلحة وما عسى ان يقول الذين [1] قسموا الاشياء بين خالقين متضادين في هذه الاشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة .

انظر يا مفضل الى ما خص به الانسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره العظيم غناؤه أعني الحياء فلولاه لم يُقرَ ضيف ولم يوف بالعدةِ ولم تُقض الحوايج ولم ينجز الجميل ولم ينكب القبيح في شيء من الاشياء حتى ان كثيراً من الامور المفترضة (٢) أيضاً انما تفعل للحياء فان من الناس من لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد أمانة ولم يعف عن فاحشة افلا ترى كيف وفى الانسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتمام امره .

---

١ وهم المانوية القائلون بأله للنور والخير واله آخر للظلام والشر وقد قال فيهم الشاعر وكم لظلام الليل عندك من يد تحدث ان المانوية تكذب.

٢ اي المفروضة كالتي مثل بها من صلة الرحم واداء الامانة والعفة عن الفواحش

تأمل يا مفضل ما انعم الله تقدست اسماؤه على الانسان من هذا المنطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بباله وفي قلبه وينتجه فكره، به يفهم عن غيره ما في نفسه ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئاً.

وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين، وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وبها يحفظ الانسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات ولولاها لانقطع بعض الازمنة عن بعض واخبار الغائبين عن أوطانهم ودرست العلوم وضاعت الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون الى النظر فيه من أمر دينهم وما روي لهم مما لا يسعهم جهله ولعلك تظن أنها مما يخلص اليه بالحيلة والفطنة وليست مما أعطيه الانسان من خلقه وطباعه، وكذلك الكلام انما هو شيء يصطلح عليه الناس فيجري بينهم ولهذا صار يختلف في الامم المختلفة بألسن مختلفة وكذلك الكتابة العربية والسريانية وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الامم انما اصطلحوا عليها كما اصطلحوا على الكلام فيقال لمن ادعى ذلك ان الانسان وان كان له في الأمرين جميعاً فعل أو حيلة فان الشيء الذي به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل له في خلقه فانه لو لم يكن له لسان مهيأ للكلام وذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلم

أبدا ولو لم يكن له كف مهيأة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة (١) فأصل ذلك فطرة الباري جل وعز وما تفضل به على خلقه فمن شكر أثيب ومن كفر فان الله غني عن العالمين.

يا مفضل فكر فيما أعطي الانسان علمه وما مُنع منه فانه أعطي علمَ ما فيه صلاح دينه ودنياه فاما صلاح دينه فهو معرفة الخالق تبارك وتعالى بالدلائل والشواهد القائمة في الخلق ومعرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة وبر الوالدين وأداء الأمانة ومواساة أهل الخلة (٢) واشباه ذلك مما قد توخذ معرفته والاقرار والاعتراف به في الطبع والفطرة من كل امة موافقة او مخالفة.

(فيما اعطى الانسان وما منع)

وكذلك اعطى علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة والغراسة واستخراج الأرضين واقتناء الأغنام والأنعام واستنباط المياه ومعرفة العقاقير التي يستشفى بها من ضروب الاسقام والمعادن التي يستخرج منها أنواع الجواهر وركوب السفن والغوص في البحر وضروب الحيل في صيد الوحش والطير والحيتان والتصرف

---

١ (الرحمن خلق الانسان علمه البيان) (الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين). (٢) الحاجة والفقر

الصناعات ووجوه المتاجر والمكاسب وغير ذلك مما يطول شرحه ، ويكثر تعداده مما فيه صلاح امره في هذه الدار فأعطى علم ما يصلح به دينه ودنياه ومنع ما سوى ذلك مما ليس في شأنه ولا طاقته ان يعلم كعلم الغيب وما هو كائن عنا وبعض ما قد كان ايضاً كعلم ما فوق السماء وما تحت لجج البحار وأقطار العالم وما في قلوب الناس وما في الأرحام واشباه هذا مما حجب على الناس علمه وقد ادعت طائفة من الناس علم هذه الامور فابطل[1] دعواهم ما بين من خطائهم فيما يقضون عليه ويحكمون به فيما ادعوا علمه فانظر كيف اعطى الانسان علم جميع ما يحتاج اليه لدينه ودنياه وحجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره ونقصه وكلا الامرين فيه صلاحه .

تأمل الآن يا مفضل ما سُتر عن الأنسان علمُه من مدة حياته فانه لو عرف مقدار عمره وكان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع رقب[2] الموت وتوقعه لوقت قد عرفه بل كان يكون بمنزلة من فنى ماله أو قارب الفناء فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر ، على أن الذي يدخل على الانسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال لان من يقل ماله يأمل ان يستخلف منه فيسكن الى ذلك ، ومنْ

---

١ بلى عرف الناس من علوم الكون الكثير الطيب مما لا شك فيه كابعاد الكواكب والشمس والقمر والنجوم وسعة البحار وارتفاع الجبال واقطار الارض واستدلوا بأمارات على حوادث الجو وتصريف الرياح والسحب والكثير من صفات الناس والحيوان والنبات والاشجار الخ (٢) ارتقابه وانتظاره .

ايقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس .

وان كان طويل العمر ثم من عرف ذلك وثق بالبقـــاء وانهمك في اللذات والمعاصي وعمد أن يبلغ من شهوته ثم يتوب في آخر عمره وهذا مذهب لا يرضاه الله من عباده ولا يقبله ، الا ترى لو ان عبداً لك عمل عـلى ان يسخطك سنة ويرضيك يوماً او شهراً لم تقبل ذلك منه ولم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضمر طـــاعتك ونصحك في كل الأمور وفي كل الاوقات على تصرف الحالات .

(فان قلت) او ليس قد يقيم الانسان على المعصية حيناً ثم يتوب فتقبل توبته (قلنا) ان ذلك شيء يكون من الانسان لغلبة الشهوة له وتركه مخالفتها من غير ان يقدره في نفسه ويبنى عليه أمره فيصفح الله عنه ويتفضل عليه بالمغفرة فامـا من قدر عليه أمره على أن يعصي ما بدا له ثم يتوب آخر ذلك فانمـا يحاول خديعة من لا يُخادع بان يتسلف التلذذ في العاجل ويَعدُوَ يمني نفسه التوبة في الآجل ولأنه لا يفي بما يعد من ذلك فان النزوع من الترفه والتلذذ ومعاناة التوبة ولا سيما عند الكبر وضعف البدن أمر صعب[1] ولا يؤمن على الانسان مع مدافعته بالتوبة ان يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب كما قـــد يكون على الواحد دين الى أجل وقد يقدر عـلى قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى يمضي الأجل وقد نفد المال فيبقى الدين

(١) وقد قيل : من شب على شيء شاب عليه . والتجربة تقول ان النزوع عن الألف أمر صعب جداً.

قائماً عليه فكان للانسان خير الاشياء ان يستر عنه مبلغ عمره فيكون طـــول عمره يترقب الموت فيترك المعاصي ويؤثر العمل الصالـــح .

(فان قلت) وها هو الآن قد ستر عنه مقدار حيـــاته وصار يترقب الموت في كل ساعة ثم لا يفارق الفواحش وينتهك المحارم (قلنا) ان وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الأمر فيه فان كان الانسان مـع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المساوي فانما ذلك من مزاجه ومن قساوة قلبه لا من خطأ في التدبير كما أن الطبيب اذا وصف للمريض مـــا ينتفع به فان كان المريض مخالفاً للطبيب لا يعمل بما يأمره ولا ينتهي عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته ولم تكن الاساءة في ذلـك الى الطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه ، ولئن كان الانسان مـع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصي فانه لو وثق بطول البقاء كان أحرى ان يخرج الى الكبائر الفظيعة فترقب الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ثم ان ترقب الموت وان كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف اخر منهم وينزعون عن المعاصي ويؤثرون العمل الصالح ويجودون بالاموال والعقائل النفيسة في الصدقـــة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع معظمهم منها

(في الاحلام والرؤيا)

فكر يا مفضل في الأحلام كيف دبر الأمر فيهـــا فمزج صادقها بكاذبها فانها لو كانت كلها تصدق لكان النـاس كلهم أنبياء ولو كانت كلها تكذب لـكان لم يكن فيهـا منفعة بل كانت فضلًا لامعنى له فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى بها او مضرة يتحرز منها ، وتكذب كثيرا لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد

(في الاشياء الموجودة في العالم المعدة لحاجة الانسان)

فكر يا مفضل في هذه الاشياء التي تراهـا موجودة معدة في العالم من مآربهم فالتراب للبناء والحديد للصناعات[1] والخشب للسفن[2] وغيرها والحجارة للارحاء وغيرهـــا[3] والنحاس للاواني والذهب والفضة للمعاملة

والذخيرة والحبوب للغـــذاء والثمار للتفكه ، واللحم للمـأكل والتلذذ والأدويـــة للتصحـح ، والدواب للحمولة ، والحطب للتوقد والرماد للكلس ، والرمل للارض وكم عسى أن يحصى المحصي من هذا وأشباهه

ارأيت لو أن داخلًا دخل داراً فنظر الى خزائن مملوءة من كل ما يحتاج اليه الناس ورأى كل ما فيها مجموعـا معداً لاسباب معروفة أكان يتوهم ان مثل هـذا يكون بالاهمال ومن غير

---

١ (وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم ان من ينصره ورسله بالغيب ان الله عزيز حكيم) ٢ وقد صنعت الآن من الحديد ولابد لهـا من الخشب ايضا . ٣ ويبني بها القصور وتطحن سمنتا وفيها ثروة معدنية مدخرة فيها .

عمد فكيف يستجيز قائل أن يقول هـــذا من صنع الطبيعة في العالم وما أعد فيه من هذه الاشياء

اعتبر يا مفضل بأشياء خلقت لمآرب الانسان وما فيها من التدبير فانه خلق له الحب لطعامه وكلف طحنه وعجنه وخبزه ، وخلق له الوبر لكسوته وكلف ندفه وغزله ونسجه ، وخلق له الشجر فكلف غرسها وسقيها والقيام عليها ، وخلقت له العقاقير لأدويته فكلف بقطعها وخلطها وصنعتها [1] وكذالك تجد سائر الاشياء على هذا المثال

وانظر كيف كفي الحلة [2] التي لم يكن عتده فيها حيلة وترك عليه في كل شيء من الأشياء موضع عمل وحركة لما له في ذلك من الصلاح لأنه لو كفى هذا كله حتى صار لا يكون له في الاشياء موضع شغل وعمل لما حملته الارض أشرا وبطراً ولبلغ به ذلك الى ان يتعاطى اموراً فيها تلف نفسه ولو كفي الناس كل ما يحتاجون اليه لماتهنوا بالعيش ولا وجـــدوا له لذة الا ترى لو ان امرأ نزل بقوم فاقام حينا يبلغ جميع ما يحتاج اليه من مطعم ومشرب وخدمـــة لتبرم بالفراغ ونازعته نفسه الى التشاغل بشيء فكيف لو كان طول عمره مكفيا لا يحتاج الى شيء فكان من صواب التدبير في هـــذه الأشياء التي خلقت

---

١ كثرت الاودية في هذا العصر مما عرفوا من كيمياء المعادن والنبات حتى صار الغلو فيها سبباً لامراض كثيرة حتى قال احد عمداء جامعة شهيرة بالولايات المتحدة لورمينا ما عندنا من العقاقير والأدوية في البحر لصح الناس ومرض السمك في البحار منها (٢) الحاجة

للانسان أن جعل له فيها موضع شغل لكيلا تتبرمه البطالة وليكفه عن تعاطي مالا يناله ولا خير له فيه ان ناله

واعلم يامفضل ان رأس معاش الانسان الخبز والماء فانظر كيف دبر الامر فيهما فان حاجة الانسان الى الماء أشد من حاجته الى الخبز وذلك ان صبره على الجوع اكثر من صبره على العطش [1] والذي يحتاج اليه من الماء اكثر مما يحتاج اليه من الخبز لأنه منه شربه ووضوءه وغسله وغسل ثيابه وسقي انعامه وزرعه فجعل الماء مبذولا لا يشترى لتسقط عن الانسان المؤنة في طلبه وتكلفه وجعل الخبز متعذراً لا ينال الا بالحيلة والحركة ليكون للانسان في ذلك شغل فكفه عما يخرجه اليه الفراغ من الاشر والعبث الا ترى ان الصبي يدفع الى المؤدب وهو طفل لم تكمل ذاته للتعليم كل ذلك ليشغل عن اللهو واللعب اللذين ربما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم وهكذا الانسان لو خلا من الشغل لخرج من الاشر والعبث والبطر الى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه [2] واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة [3]

---

(١) وقد قيل ان الانسان يموت اذا فقد النفس ثلاث دقائق ويموت اذا فقد الماء ثلاثة ايام ، ويموت اذا فقد الطعام ثلاثة اسابيع ولعل هذا هو الغالب والا فقد ترك مكسويل محافظ كرك في ايرلندة عندما سجنه الانكليز ظلما ترك الطعام خمسة وستين يوماً مات بعدها جلدا على عظم واخبرني من صام عن الطعام ثلاثا وثلاثين يوما وعاش بعدها صحيحا .

(٢) ولقد رأى الناس من المترفين ومجرمي الاغنياء والوارثين للمال الجم ما تضج منهم السماء والارض من الفجور والعيث في الارض فسادا من قمار وخمر وزنا ولهو لذلك يحمد عقلاء الفقراء ربهم على نعمة الفقر . (٣) الغنى واليسار .

ورفاهية العيش والترفه والكفاية وما يخرجه ذلك[1] اليه

(في حكمة عدم تشابه الناس بخلاف سائر الحيوانات)

ولذلك لم يتشابه الناس واحد بالآخر كما يتشابه الوحوش والطير وغير ذلك فانك ترى السرب من الظباء والقطا يتشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين الأخر وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صورة واحدة[2] والعلة في ذلك أن الناس محتاجون الى ان يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج الى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته ألا ترى ان التشابه في الطير والوحش لا يضرها شيئا وليس كذلك الانسان فانه ربما تشابه التوأمان تشابها شديداً فتعظم المؤنة على الناس في معاملتهما حتى يؤخذ أحدهما بذنب الاخر وقد يحدث مثل هذا في تشابه الاشياء فضلا عن تشابه الصور فمن لطف بعباده بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب الا مَنْ وسعت رحمته كل شيء .

لو رأيت تمثال الانسان مصوراً على حائط وقال لك قائل ان هذا ظهر هنا من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع أكنت تقبل ذلك بل كنت تستهزأ به فكيف تنكر هذا في مصوّر جماد

---

(١) قال تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ان الله بعباده لطيف خبير)

٢ (ومن اثاره اختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات العالمين)

ولا تنكره في الانسان الحي الناطق .

لم صارت أبدان الحيوان وهي تغتذى ابدا حتى تنتهي الى غاية من النمو ثم تقف ولا تجاوزها لولا التدبير في ذلك فان من تدبير الحكيم فيها ان تكون أبداً ان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت في الكبر والصغر وصارت تنمي حتى تصل الى غايتها ثم تقف ثم لا تزيد والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ولو كانت تنمى نموا دائماً لعظمت ابدانها واشتبهت مقاديرها حتى لا يكون لشيء منها حد يعرف

لم صارت اجسام الانسي خاصة تثقل عن الحركة والمشي وتجفو عن الصناعات الطبيعية الا لتعظم المؤنة فيما يحتاج اليه الناس للبس والمضجع ، والمرجع والتكفن وغير ذلك

لو كان الانسان لا يصيبه ألم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس أما ترى الانسان اذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب الى ربه في العافية وبسط يده بالصدقة (١) ولو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الذعار ويذل البغاة المردة وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات وبم كان العبيد يذلون لاربابهم ويذعنون لطاعتهم أفليس في هذا توبيخ لابن أبي العوجاء وذويه الذين جحدوا التدبير والمتانة الذين انكروا الوجع والالم .

ولو لم يولد من الحيوان الا ذكر فقط أو انثى فقط الم

---

١ (واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه او قاعداً او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك نجزي المسرفين)

يكن النسل منقطعاً وباد جميع أجناس الحيوان فصار بعض الاولاد تأتي ذكوراً وبعضها يأتي اناثا ليدوم التناسل ولا ينقطع

لم صار الرجل والمرأة اذا ادركا تنبت لهما العانة ثم تنبت اللحية للرجل وتخلفت عن الامراة لولا التدبير في ذلك لما جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيما ورقيباً على المرأة وجعل المرأة عروساً وخولا للرجل وأعطى الرجل اللحية لماله من العز والجلالة والهيبة ومنعها المرأة ليبقى لها نضارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة افلا ترى الخلقة كيف تأتي بالصواب في الاشياء وتتخلل مواضع الخطأ فتعطى وتمنع على قدر الارب والمصلحة ذلك تدبير الحكيم عز وجل

قال المفضل ثم حان وقت الزوال فقام مولاي الى الصلاة وقال بكر الي غدا ان شاء الله تعالى فانصرفت من عنده مسروراً بما عرفته مبتهجاً بما اوتيته حامداً لله تعالى عز وجل على ما انعم به شاكراً لأنعمه علي ما منحني مما عرفنيه مولاي وتفضل به علي فبت ليلي مسروراً بما منحنيه محبوراً بما علمنيه

تم المجلس الاول ويتلوه المجلس الثاني من كتاب الادلة على الخلق والتدبير والرد على القائلين بالاهمال ومنكري العمد [1] برواية المفضل عن الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه

المجلس الثاني

قال المفضل فلما كان اليوم الثاني بكرت الى مولاي فدخلت فأمرني بالجلوس فجلست فقال : الحمد لله مدبر الادوار ومعيد

١ اي القصد والحكمة ممن يقولون بالمصادفة

الاكوان طبقاً عن طبق وعالماً بعد عالم (ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى) عدلا منه تقدست اسماؤه وجلت آلاؤه لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون يشهد بذلك قوله جل قدسه (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) في نظائر لها من كتابه الذي فيه تبيان كل شيء (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) ولذلك قال سيدنا محمد ﷺ وعلى آله « انما هي اعمالكم ترد اليكم »[1]

ثم اطرق هنيئة ثم قال: يا مفضل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يترددون وعلى شياطينهم وطواغيتهم يعتمدون بصراء عمى لا يبصرون نطقاء بكم لا ينطقون سمعاء صم لا يسمعون رضوا بالدون وحسبوا أنهم مهتدون حادوا عن مدرجة الاكياس ورتعوا في مرعى الارجاس الأنجاس كأنهم من مفاجاة الموت آمنون وعن المجازاة مزحزحون ياويلهم ما أشقاهم وأطول عناهم وأشد بلاءهم (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون الا من رحم الله) قال فبكيت لما سمعت منه فقال لا تبك تخلصت اذ قبلت ونجوت اذ عرفت

ثم قال ابتدىء لك بذكر الحيوان ليتضح لك من أمره ما وضح لك من غيره

---

١ في حديث ابي ذر عند مسلم «يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه »

فكر في بنية الحيوان وتهيئتها على ما هي عليه فلا هي صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لكانت تنشيء ولا تتصرف في الاعمال ولا هي على غاية اللين والرخاوة فكانت لا تتحامل ولا تستقل بأنفسها فجعلت من لحم ورخو ينشيء تداخله عظام صلاب يمسكه عصب وعروق تشده وتضم بعضه الى بعض وغلفت فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كله ، واشباه ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان وتلف بالخرق وتشد بالخيوط وتطلى فوق ذلك بالصمغ فتكون العيدان بمنزلة العظام والخرق بمنزلة اللحم والخيوط بمنزلة العصب والعروق والطلاء بمنزلة الجلد فان جاز ان يكون الحيوان المتحرك حدث بالاهمال من غير صانع جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة فان كان هذا غير جائز في التمثال فبالحري ان لا يجوز في الحيوان

وفكر يا مفضل بعد هذا في أجساد الانعام [1] فانها حين خلقت على أبدان الانس من اللحم والعظم والعصب أعطيت ايضاً السمع والبصر ليبلغ الانسان حاجته [2] فانها لو كانت لا تبصر ولا تسمع لما انتفع الانسان بها ولا تصرفت في شيء من مأربه ثم منعت الذهن والعقل لتذل للأنسان فلا تمتنع عليه اذا أكدها الكد الشديد وحملها الحمل الثقيل

---

١ الابل والبقر والغنم ٢ (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم)
(والانعام خلقها لكم فيها دف ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق النفس ان ربكم لرؤوف رحيم)

(فان قائل قائل) انه قد يكون للانسان عبيد من الانس يذلون ويذعنون بالكد الشديد وهم مع ذلك غير عديمي العقل والذهن (فيقال) في جواب ذلك ان هذا الصنف من الناس قليل واما اكثر الناس فلا يذعنون بما تذعن به الدواب من الحمل والطحن وما اشبه ذلك ولا يقومون بما يحتاج اليه منه ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الاعمال بابدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الاعمال لانه كان يحتاج مكان الجمل الواحد والبغل الواحد الى عدة أناسي [1] فكان هذه العمل يستفرغ الناس ولا يكون فيهم عنه فضل لشيء من العبادات مع مايلحقهم من التعب الفادح في ابدانهم والضيق والكد في معايشهم

فكر يا مفضل في هذه الاصناف الثلاثة من الحيوان وفي خلقها على ما هي عليه مما فيه صلاح كل منها فالانس لما قدر ان يكونوا ذوي ذهن وفطنة وعلاج لمثل هذه الصناعات من البناء والنجارة والصياغة والخياطة وغير ذلك خلقت لهم أكف كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الاشياء واوكدها هذه الصناعات وآكلات اللحم لما قدر ان تكون معايشها من الصيد خلقت لهم أكف لطاف مذبجة ذوات براثن ومخاليب تصلح لاخذ الصيد ولا تصلح للصناعات وآكلات النبات لما قدر ان تكون لاذوات صنعة ولاذوات صيد خلقت لبعضها

---

١ وتمت نعمة الله على خلقه بما هداهم اليه من صنعة الآلات الميكانيكية كالسيارات والقطر والطائرات وبما اخرج لهم من الفحم والبترول وبما ينتظر من قوى تفجير الذرة

الخفاف تقيها خشونة الارض اذا حاولت طلب المرعى ولبعضها حوافر مصمتة ذات قعر كما خمص القدم تنطبق عند تهيئها للركوب والحمولة

تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات اسنان حداد وبراثن شداد واشداق وافواه واسعة فانه لما قدر ان يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك [1] واعينت بسلاح وأدوات تصلح للصيد وكذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير ومخاليب مهيأة لفعلها ولو كانت الوحوش ذوات المخاليب لكانت قد اعطيت مالا تحتاج اليه لانها لا تصيد ولا تأكل اللحم ولو كانت السباع ذوات أظلاف لكانت منعت ما تحتاج اليه أعني السلاح الذي تصيد به وتتعيش افلاترى كيف أعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه وطبعه بل ما فيه بقاؤه وصلاحه

انظر الآن الى أولاد ذوات الأربع كيف تراها تتبع امهاتها مستقلة بأنفسها لا تحتاج الى الحمل والتربية كما تحتاج أولاد الانس فمن أجل أنه ليس عند امهاتها ما عند امهات البشر من الرفق والعلم بالتربية والقوة عليها بالاكف والاصابع المهيأة لذلك أعطيت النهوض والاستقلال بأنفسها وكذلك ترى كثيراً من الطير كمثل الدجاج والدراج والقبج تدرج وتلقط حين تنقاب

(١) وامعاؤها قصيرة وآكلات النبات والعشب طويلة الامعاء جدا والانسان امعاؤه وسط بين آكلة اللحوم وآكلة العشب تدل على انه نباتي لحمي يعيش عليهما كليهما .

عنها البيضة فاما ما كان منها ضعيفاً لانهوض فيه كمثل افراخ الحمام واليمام والحمر فقد جعل في الامهات فضل عطف عليها تمج الطعام في أفواهها بعدما توعيه حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها ولذلك لم ترزق الحمام فراخاً كثيرة مثل ما ترزق الدجاج فراخاً كثيرة لتقوى الأم على تربية فراخها فلا تفسد ولا تموت فكلا أعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير [1] انظر الى قوائم الحيوان كيف تأتي ازواجاً لتهيأ للمشي ولو كانت افراداً لم تصلح لذلك لان الماشي ينقل قوائمه ويعتمد على احدى القائمتين ينقل واحدة ويعتمد على واحدة وذو الاربع ينقل اثنتين ويعتمد على اثنتين وذلك من خلاف لان ذا الاربع لو كان ينقل قائمتين من الجانب الاخر لايثبت على الارض كما لا يثبت السر يروما أشبهه فصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مأخيره وينقل الاخريين ايضا من خلاف فيثبت على الارض ولا يسقط اذا مشى اما ترى الحمار كيف يذل للطحن والحمولة وهو يرى الفرس مودعاً والبعير لا يضطبطه عدة رجال لو استعصى كيف كان ينقاد للصبي ، والثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه ويحرث به ، والفرس الكريم يركب بالسيوف والاسنة بالموافاة لفارسه ، والقطيع من الغنم يرعاه واحد ولو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها وكذلك جميع الاصناف

---

١ (قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (الذي قدر فهدى)

المسخرة للأنسان فيم كانت كذلك الابانها عدمت العقل والروية فانها لو كانت تعقل وتتروى في الامور كانت خليقة ان تلتوي على الانسان في كثير من مأربه حتى يمتنع الجمل على قائده ، والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها واشباه هـــذا من الامور ، وكذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل وروية فتوازرت على الناس كانت خليفة أن تجاحهم [1] فمن كان يقوم لـلاسد والذئاب والنمور والدببة لو تعاونت وتظـــاهرت على الناس افلا ترى كيف حجر ذلك [2] عليها وصارت مكان ماكان يخاف من اقدامها ونكايتها تهاب مساكن الناس وتحجم عنهـــا ثم لا تظهر ولا تنتشر لطلب قوتها الا بالليل فهي مع صولتها كالخائف من الانس بل مقموعة ممنوعة منهم ولو كان ذلك لساورتهم في مساكنهم وضيقت عليهم ، ثم جعل في الكلب من هذه السباع عطف على مالكه ومحاماة عنه وحفاظ له ينتقل على الحيطان والسطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبة وذب الذعار [3] عنه ويبلغ من محبته لصاحبه ان يبذل نفسه للموت دونـه ودون ماشيته وماله ويألفه غاية الالف حتى يصبر معه على الجـــوع والجفـــوة فلم طبع الكلـــب على هـــذه الالفة والمحبـــة الا ليكون حارساً للانسان له عين له أنياب ومخاليب ونباح هائل ليذعر عنه السارق ويتجنب ما يحميها ويخفرها

يا مفضل تأمل وجه الدابة كيف هو فـــانك ترى العينين

---

١ تهاجمهم وتحاربهم ٢ اي بسبب عدم عقلها ٣ اللصوص

شاخصتين امامها لتبصر ما بين يديها لئيلا تصدم حائطاً او تقع في حفرة ، وترى الفم مشقوقاً شقافى أسفل الخطم ولو شـــق كفم الانسان في مقدم الذقن لما استطاع ان يتناول به شيئاً من الارض الا تري أن الانسان لا يتناول الطعام بفيه ولكن بيده تكرمة له على سائر الاكلات فلما لم يكن للـــدابة يد تتناول بها العلف جعل خرطومها مشقوقاً من أسفله لتقبض على العلف ثم تقضمه واعينت بالجحفلة [1] لتتناول بها ما قرب ومابعد

اعتبر بذنبها والمنفعة لها فيه فانه بمنزلة الطبق على الذرب والحياء جميعاً يواريها ويسترهما ومن منافعها فيه ان مابين الدبر ومراقي البطن منها وضر يجتمع عليها الذباب والبعوض فجعل لها الذنب كالمذبة تذب بها عن تلك المواضع ، ومنها ان الدابة تستريح الى تحريكه وتصريفه يمنة ويسرة فانه لما كان قيامها على الاربع باسرها وشغلت المقدمتان بحمل البدن عن التصرف والتقلب كان لها تحريك الذنب راحة وفيه منافع اخرى يقصر عنهـــا الوهم فيعرف موقعها في وقت الحاجة اليها فمن ذلك أن الدابة تطم في الوحل فلا يكون شيء اعون على نهوضها من الاخذ بذنبها وفي شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في مآربهم ثم جعل ظهرها مسطحاً مبطوحـــاً على قوائم اربع ليتمكن من ركوبها وجعل حياها [2] بارزاً من ورائها ليتمكن الفحـــل من ضربها ولو كان أسفل القطن كما كان الفرج من المرأة لم يتمكن

---

١ الشفة الطويلة واعين الفيل بالخرطوم ليعوض عليه قصر رقبته وصلابتها

٢ فرجها

الفحل منها الا ترى انه لا يستطيع ان يأتيها كفاحاً[1] كما يأتي الرجل المرأة تأمل مشفر الفيل وما فيه من لطيف التدبير فانه يقوم مقام اليد في تناول العلف والماء وازدرادهما الى جوفه ولولا ذلك لما استطاع ان يتناول شيئاً من الارض لانه ليست له رقبة يمدها كسائر الانعام فلما عدم العنق أعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدليه فيتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان العضو الذي يقوم مقامه الا الرؤف بخلقه وكيف يكون هذا هكذا باهمال كما قالت الظلمة (فان قال قائل) فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الانعام قيل :له رأس الفيل واذناه امر عظيم وثقل ثقيل فلو كان ذلك على عنق عظيم [2] لهدها وأوهنها فجعل رأسه ملصقا بجسمه لكيلا يناله منه ما وصفناه وخلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول منه غذاءه فصار مع عدم العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته

انظر الآن كيف جعل [3] حياء الانثى من الفيلة في أسفل بطنها فاذا هاجت للضراب ارتفع وبرز حتى يتمكن الفحل من ضربها فاعتبر كيف جعل حياء الانثى من الفيلة على خلاف غيرها من الانعام ثم جعلت فيه هذه الحلة[4] لتهيأ للأمر الذي فيه قوام النسل ودوامه .

فكر في خلق الزرافة واختلاف اعضائها وشبهها باعضاء اصناف من الحيوان فرأسها رأس فرس وعنقها عنق جمل

---

(١) منبطحة على ظهرها (٢) اي طويل (٣) فرجها (٤) الحصلة

واظلافها اظلاف بقرة وجلدها جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل ان نتاجها من فحول شتى قالوا سبب ذلك ان اصنافا من حيوان البر اذا وردت الماء تنزو على بعض السائمة وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتى وهذا جهل من قائله وقلة معرفة بالباري جل قدسه وليس كل صنف من الحيوان يلقح كل صنف فلا الفرس يلقح الجمل ولا الجمل يلقح البقر وانما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله ويقرب من خلقه[1] كما يلقح الفرس الحمار فيخرج بينهما البغل ويلقح الذئب الضبع فيخرج من بينهما السبع على انه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو كل واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس وعضو من الجمل وأظلاف من البقرة بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل وانك ترى رأسه واذنيه وكفله وذنبه وحوافره وسط بين هذه الاعضاء من الفرس والحمار ونشيجه كالممتزج من صهيل الفرس ونهيق الحمار فهذا دليل على انه ليست الزرافة من لقاح اصناف شتى من الحيوان كما يزعم الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء

وليعلم انه خالق اصناف الحيوان كلها يجمع بين ما يشاء من

---

(١) ومن هنا ردوا على القائلين بالتشوء والارتقاء وان الانسان مترق عن القرد بأن القردة لا تتلقح بماء الانسان والمرأة لا تتلقح بماء القرد فاضطروا الى تخيل وسط مفقود بين الانسان والقرد وهم في البحث عنه وانى لهم وهيهات ونحن معهم متربصون .

اعضائها في ايها شاء ويفرق ما شاء منها في ايها شاء ويزيد في الخلقة ما شاء وينقص منها ما شاء دلالة على قدرته على الاشياء وانه لا يعجزه شيء اراده جل وتعالى فاما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فان منشاها ومرعاها في عاطل ذوات اشجار شاهقة ذاهبة طولاً في الهواء فهي تحتاج الى طول العنق لتناول بفيها أطراف تلك الاشجار فتقوت من ثمارها .

تأمل خلقة القرد وشبهه بأعضاء الانسان في كثير من أعضائه اعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك في خلق احشائه ايضاً شبيهة باحشاء الانسان[1] وخص ذلك بالذهن والفطنة التي يفهم عن سياسة مايؤتى اليه ويحكى كثيراً مما يرى الانسان يفعله حتى انه يقرب من خلق الانسان وشمائله في التدابير في خلقه على ما هي عليه عبرة للانسان في نفسه فيعلم انه من طينة البهائم وسنخها اذ كان يقرب من خلقها هذا القرب ولولا فضيلة فضله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على ان في جسم القرد فصولاً اخرى تفرق بينه وبين الانسان كالخطم والذنب المسدول والشعر المجلل للجسم كله وهذا لم يكن مانعا للقرد ان يلحق الانسان لو اعطى مثل ذهن الانسان وعقله ونطقه والفصل الفاصل بينه وبين الانسان بالحقيقة هو النقص في العقل والذهن والنطق[2]

---

(١) مما دعا الدرونيين الى الزعم بتسلسل الانسان من القرد .

(٢) وفي اوروبا يعنون بتربية القرد وتهذيبه وتعليمه الاكل بالشوكة والسكين واجلاسه على الكراسي لعله يتمرن ويصير انسانا فتثبت نظريتهم بالتجربة.

انظر يامفضل الى لطف الله جل اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامها هـــذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقيها من البرد وكثرة الأفات وألبست الاظلاف والحوافر والأخفاف[1] لتقيها من الحفاء اذ كانت لا أيدى لها ولا اكف ولا اصابع مهيأة للغزل والنسج فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون الى تجديدها واستبدال بهـــا فأما الانسان فانه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالاً بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات من ذلك انة يشغل من صنعة اللبـــاس عن العبث وما تخرجه اليه الكفاية ومنها انه يستريح الى خلـــع كسوته اذا شاء ولبسها اذا شاء ومنهـــا ان يتخذ لنفسه من الكسوة ضروباً لهاجمال وروعة فيتلذذ بلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق مع الصنعة ضروبـــاً من الخفاف والنعال يقي بها قدميه وفي ذلك معايش لمن يعلمه مـــن الناس ومكاسب يكون فيها معايشهم ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة، والأظلاف والحوافر والاخفاف مقام الحذاء.

فكر يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم فانهم يوارون أنفسهم اذا ماتوكما يواري الناس موتاهم والا فاين جيف هـــذه الوحوش والسباع وغيرهـــا لا يرى منها شيء وليست قليلة

---

(١) الاظلاف للبقر والغنم وهو المشقوق والحوافر للخيل والبغال والحمير وهو غير مشقوق والاخفاف هي للابل.

فتخفى لقلتها بل لو قال قائل انها أكثر من الناس لصدق فاعتبر في ذلك بما تراه في الصحارى والجبال والاسراب من الظباء والمها والحمير الوحش والوعول والايايل[1] وغير ذلك من الوحوش وأصناف السباع من الاسد والضباع والذئاب والنمور وغيرها وضروب الهوام والحشرات ودواب الارض وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والأوز والكراكي والحمام وسباع الطير جميعاً وكلها لا يرى منها اذا ماتت الا الواحد يصيده قانص او بفترسه سبع فاذا أحست بالموت كمنت في مواضع خفية فتموت فيها ولولا ذلك لامتلات الصحاري منها حتى تتغير رائحة الهواء وتحدث الأمراض والوباء فانظر الى هذا الذي مثل لهم كيف جعل طبعاً وذكاء في البهائم وغيرها ليسلم الناس من معرة ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد

فكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفاً من الله عز وجل لهم لئلا يخلو من نعمته جل وعز احد من خلقه لا عقل له ولا روية فان الأيل يأكل الحيات فيعطش عطشاً شديداً فيمتنع من شرب الماء خوفا من أن يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب منه ولو شرب لمات من ساعته فانظر الى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظما الغالب الشديد خوفاً من المضرة في الشرب وذلك مما لا يكاد الانسان العاقل

(١) الوعول والايايل ج أبل نوعان من غزلان الصحارى والجبال.

المميز يضبطه من نفسه[1] والثعلب اذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتا فاذا وقعت عليه لتنهشه وثب عليها فأخذها فمن أعان الثعلب لضعفه عن كثير مما تقوى عليه السباع من مساورة الصيد أعين بالدهاء والفطنة والاحتيال لمعاشه فهو يلتمس صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله ويشرحه حتى يطفو على الماء ثم يكمن تحته ويثور الماء الذي عليه حتى لا يبين شخصه فاذا وقع الطير على السمك الطافي وثب عليها فاصطادها فانظر الى هذه الحيلة كيف جعلت في هذه البهيمة لبعض المصلحة

قال المفضل فقلت: خبرني يا مولاي عن التنين والسحاب فقال عليه السلام ان السحاب كالموكل به يخطفه حيثما تلقفه كما يخطف حجر المغناطيس الحديد فهو لا يطلع رأسه في الارض خوفاً من السحاب ولا يخرج الا في القيظ مرة اذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيم (قلت) فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه اذا وجده[2] قال ليدفع عن الناس مضرته

قال المفضل (فقلت) خبرني قد وصفت لي يا مولاي من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر فصف لي الذرة[3] والنملة والطير

١ كانت جنود امريكا في اليابان تأكل ما تصادفها من الاعشاب للجوع والتفكه فتقع في نباتات سامة وهي لا تشعر فاذاعت عليهم صحة الجيش ان كلوا مما تأكله الحمير فانها تعرف بالغريزة السام من غير السام :

فيا للعجب الحمير بالفطرة والغريزة اعرف من عقلاء جنود اميركا .

٢ غريبة فهل حقاً تختطف السحاب فى جو السماء التنين من على الارض مسالة ينبغي تحقيقها نفيا واثباتا بالتجربة والاستقراء

٣ الذرة صغار النمل والنحل كبارها اكبر من الذرة

فقال عليه السلام يا مفضل تأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصا عما فيه صلاحها فمن اين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة الا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره

انظر الى النمل واحتشاده في جمع القوت واعداده فانك ترى الجماعة منها اذا نقلت الحب الى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام او غيره بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ماليس للناس مثله أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل ثم يعمدون الى الحب فيقطعونه قطعاً لكيلا ينبت فيفسد عليهم فان اصابه ندى اخرجوه فنشروه حتى يجف ثم لا يتخذ النمل الزبية[1] الا في نشز من الارض كيلا يفيض السيل فيغرقها وكل هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقة خلق[2] عليها لمصلحة من الله جل وعز .

انظر الى هذا الذي يقال له الليث[3] وتسميه العامة الذباب وما أعطي من الحيلة والرفق في معاشه فانك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريباً منه تركه ملياً حتى كأنه موات لا حراك به فاذا رأى الذباب قد اطمأن وغفل عنه دب دبيباً دقيقاً حتى يكون منه بحيث تناله وثبته ثم يثب عليه فيأخذه فاذا اخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة ان ينجو منه فلا يزال قابضاً عليه حتى يحس بانه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيا منه .

فاما العنكبوت فانه ينسج ذلك النسج فيتخذه شركاً

---

(١) جحرها . (٢) قسمي الغريزة . (٣) كان نوع من صائد الذباب كالعنكبوت .

ومصيدة للذباب ثم يتمكن في جوفه فاذا نشب فيه الذباب أحال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه فذلك(١ يحكي صيد الكلاب والفهود وهذا ٢) يحكي صيد الاشراك والحبائل فانظر الى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا تبلغه الا بالحيلة واستعمال الآلات فيها لانه دل بالشيء اذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنمل وما اشبه ذلك فان المعنى النفيس قد يمثل بالشيء الحقير فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب ان يوزن بمثقال من حديد .

تأمل يا مفضل جسم الطائر وخلقته فانه حين قدر ان يكون طائراً في الجو خفف جسمه وادمج خلقته واقتصر به من القوائم الاربع على اثنتين ومن الاصابع الخمس على اربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جؤجؤ محدد يسهل عليه ان يخرق الهواء كيفما أخذ فيه كما جعلت السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران وكسى كله

---

(١) رأى الليث يحكيها بالوثب .

(٢) أى العنكبوت يحكيها بنسيجه الذي يصيد به .

الريش ليداخله الهواء [1]) فيقله ولما قدر ان يكون طعمه الحب واللحم ليبلعه بلا مضغ نقص من خلقة الانسان وخلق له منقار صلب جاسر يتناول به طعمه فلا يتقرح من لقـــط الحب ولا يتقصف من نهش اللحم ولما عدم الاسنان وصـار يزدرد الحب صحيحاً واللحم غريضاً اعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحناً يستغني به عن المضغ [2]) .

واعتبر ذلك بان عجم العنب وغيره يخرج من اجواف الطير لا يرى له اثر ثم جعل مما يبيض بيضـــاً ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران فانه لو كانت الفراخ في جوفـه تمكث حتى تستحكم لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلاً للأمر الذي قدر ان يكون عليه ثم اصـار

---

(١) ومن تأمل خلقة الطير صنع الانسان طائرته باجنحة كالطير ومقـدم ومؤخر فيه السكان الذي يوجهها كما يشاء الربان مثل ذيل الطير يتوجه به الى ما يشاء ومن محركات كعضلات الاجنحة ومن عجلات النزول كأرجل الطير والبنزين والكهرباء غذاؤها وقوتها كغذاء الطير فسبحان من علم الانسان ما لم يعلم . وقد كان فرنسي بمصر يخرج الى جبـل المقطم ويدون ملاحظـاته عن الطيران ولما مـات اشترت امير كا مذكراته وانتفعت بها في ملاحـــة الجو والطيران .

(٢) وذلك في القونصة فصنع التي تقوم له في الهضم مقام الاسنان وغيره.

الطائر سابحاً في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه اسبوعاً وبعضها اسبوعين وبعضها ثلاثة اسابيع حتى يخرج الفرخ من البيضة ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتتسع حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه أن يلقط الطعم والحب يستخرجه بعد ان يستقر في حوصلته ويغذوبه فراخه ولأي معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي روية ولا تفكر ولا يأمل في فراخه ما يؤمل الانسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا من فعله يشهد انه معطوف على فراخه لعلة لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً من الله تعالى ذكره .

انظر الى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر موطأ بل تنبعث وتنتفخ وتقوى وتمتنع من الطعم حتى يجمع لها البيض فتحضنه ويتفرخ فلم كان ذلك منها الا لاقامة النسل ومن اخذها باقامة النسل ولا روية لها ولا تفكير لولا انها مجبولة على ذلك .

اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المح الأصفر الخاثر والماء الابيض الرقيق فبعضه ينشأ منه الفرخ وبعضه ليغتذي به الى ان تنقاب [1] البيضة عنه وما في ذلك من التدبير فانه لما كان نشوء الفرخ في القشرة المستحفظة التي لا مساغ لشيء اليها جعل معه في جوفها من الغذاء ما يكتفي به الى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل الى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به الى وقت خروجه منه .

(١) تنقب وتثقب .

فكر يا مفضل في حوصلة الطائر وما قدر له فان مسلك الطعم الى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام الا قليلاً قليلاً فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الاولى الى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي طعمه فإنما يختلسه اختلاساً لشدة الحذر فجعلت له الحوصلة كالخلاة المعلقة أمامه ليوعي فيها ما ادرك من الطعم بسرعة ثم ينفذه الى القانصة على مهل وفي الحوصلة ايضاً خلة اخرى فان من الطائر ما يحتاج الى ان يزق فراخه فيكون رده للطعم من قرب اسهل عليه .

قال المفضل فقلت ان قوماً من المعطلة يزعمون أن اختلاف الالوان والاشكال في الطير انما يكون من قبل امتزاج الاخلاط واختلاف مقاديرها بالمزج والاهمال .

قال يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس والدراج على استواء ومقابلة كنحو ما يخط بالأقلام كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف ولو كان بالاهمال لعدم الاستواء ولكان مختلفاً .

تأمل ريش الطير كيف هو فانك تراه منسوجاً كنسج الثوب من سلوك دقاق قد الف بعضه الى بعض كتأليف الخيط الى الخيط والشعرة الى الشعرة الم تر ذلك النسج اذا مددته ينفتح قليلا ولا ينشق لتداخله الريح فتقل[1] الطائر اذا طار وترى في وسط الريشة عموداً غليظاً متيناً قد نسج عليه الذي

---

(١) اي تحمله .

هو مثل الشعر ليمسكه بصلابته وهـــو القصبة التي في وسط الريشة وهو مع ذلك أجوف ليخفف عـلى الطائر ولا يعوقه الطيران .

هل رأيت يامفضل هذا الطائر الطويل الساقين وعرفت ما له من المنفعة في طول ساقيه فأنه اكثر وقته في ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلتين كأنه ربيئة فوق مرقب وهو يتأمل مـا يدب في الماءفاذا رأى شيئاً مما يتقوت به خطا خطوات رقيقة حتى يتناوله ولو كان قصير الساقين كان يخطو نحو الصيد ليأخذه ويصب عليه الماء فيثور ويذعر منه فيتفرق عنه فخلق له ذانك العمودان ليدرك بهما حاجته ولا يفسد عليه مطلبه .

تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر فأنك تجد طائراطويل الساقين طويل العنق وذلك ليتمكن من تناول طعمه مـــن الارض ولو كان طويل الساقين قصـــير العنق لما استطاع ان يتناول شيئاً من الارض وربما أعـــين مع طول العنق بطول المناقير ليزداد الامر عليه سهولة وله امكاناً افلا ترى انـك لا تفتش شيئاً من الخلقة الا وجدته على غاية الصواب والحكمة .

انظر الى العصافير كيف تطلب اكلها بالنهار فهي لا تفقده ولا تجده مجموعاً معـــداً بل تناله بالحركة والطلب وكذلك الخلق كله فسبحان من قدر ورزق ثم كيف فرقه فلم يجعل مما لا يقدر عليه اذ جعل بالخلق حاجة اليه ولو جعله مجموعـــاً معـــداً كانت البهائم تتقلب عليه ولا تتقلع عنه حتى تبشم

فتهلك ، وكان الناس أيضاً يصيرون بالفراغ الى غـــاية الاشر والبطر حتى يكثر الفساد وتظهر الفواحش [1] .

اعلمت ما طعم هذه الاصناف من الطير التي لا تخرج الا بالليـل كمثل البوم والهام والخفاش؟ (قلت) لا يا مولاي قال ان معاشها من ضروب تنتشر في الجو من البعـوض والفراش واشباه الجراد واليعاسيب وذلك ان هذه الضروب مبثوثـة في الجو لا يخلو منها موضع واعتـبر ذلك بانـك ترى اذا وضعت سراجاً بالليل في سطح او عرصة دار اجتمع عليه من هـــذه الضروب شيء كثير فمن اين يأتي كله الا من القرب منـك (فان قال قائل) انه يأتي من الصحاري والبراري (قيل له) كيف يوافي في تلك الساعة من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلـك البعد سراجاً في دار محفوفاً بالدور فيقصد اليه مع ان هـــذه عياناً تتهافت على السراج من قرب فيدل انها منتشرة في كل موضع من الجو فهذه الاصناف من الطير تلتمسها اذا خرجت فتتقوت بها فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج من هذه الضروب المنتشرة في الجو واعرف ذلـك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي عسى ان يظن ظان انها فضل لا معنى له .

خلق الخفاش خلقة عجيبة بين خلقة الطير وذوات الاربع

---

(١) كما قال تعالى (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) وقـــال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير) .

بل هو الى ذوات الاربع أقرب وذلك انه ذو اذنين ناشزتين واسنان ودبر وهو يلد ولاداً ويرضع ويبول ويمشي اذا مشى على اربع وكل هذا بخلاف صفة الطير ثم هو ايضاً مما يخرج بالليل ويتقوت بما يسري في الجو من الفراش وما اشبهه وقد قال قائلون انه لا طعم للخفاش وان غذاءه من النسيم وحده وذلك يفسد ويبطل من جهتين (أحداهما) خروج الثفل والبول منه فان هذا لا يكون من غير طعم (والاخرى) انه ذو اسنان ولو كان لا يطعم شيئاً لم يكن للاسنان فيه معنى وليس في الخلقة ما لا معنى له واما المأرب فيه فمعروف حتى ان زبله يدخل في بعض الاعمال ومن أعظم المأرب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جل ثناؤه وتصرفه فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة .

فاما الطائر الصغير الذي يقال له ابو غرّة فقد كان عشش في بعض الاوقات في بعض الشجر فنظر الى حية عظيمة قد اقبلت نحو عشه فاغرة فاها تبغيه فبينما هو يتقلب ويضطرب في طلب حيلة منها اذ وجد حسكة فحملها فألقاها في فم الحية فلم تزل الحية تتلوى وتتقلب حتى ماتت افرأيت لو لم اخبرك بذلك كان يخطر ببالك او ببال غيرك انه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة او يكون من طائر صغير او كبير مثل هذه الحيلة اعتبر بهذا وكثير من الاشياء يكون فيها منافع لا تعرف إلا بحادث يحدث او خبر يسمع به .

انظر الى النحل[1] واحتشاده في صنعة العسل وتهيئة البيوت المسدسة وما ترى في ذلك من دقائق الفطنة فانك اذا تأملت العمل رأيته عجيباً لطيفاً واذا رأيت المعمول وجدته عظيماً شريفاً موقعه من الناس واذا رجعت الى الفاعل[2] الفيته غبياً جاهلاً بنفسه فضلاً عما سوى ذلك ففي هذا اوضح الدلالة على ان الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذى طبعه عليها وسخره فيها لمصلحة الناس .

انظر في هذا الجراد ما اضعفه وما اقواه فانك اذا تأملت خلقه رأيته كاضعف الاشياء وان دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع احد ان يحميه منه[3] الا ترى لو ان ملكاً من ملوك الارض جمع خيله ورجله ليحمى بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك افليس من الدلائل على قدرة الخالق ان يبعث اضعف خلقه الى اقوى خلقه فلا يستطيع دفعه انظر اليه كيف ينساب على وجه الارض مثل السيل فيغشي السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرته فلو كان

---

(١) (واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) سورة النحل

(٢) يعني النحل . (٣) تكافلت الدول المتجاورة على حرب الجراد بما اخترع من وسائل السموم المبيدة التي توضع على الاعشاب حيث يرعى ولكنها قد تصيب الانعام التي ترعاها بعد ذلك بما يضرها ولاينفعها . وكم بادت انعام البادية بهذه السموم .

هذا مما يصنع بالايدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم سنة كان يرتفع فاستدل بذلك على القدرة التي لا يؤودها[1] شيء ولا يكبر عليها .

تأمل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قدر ان يكون عليه فانه خلق غير ذي قوائم[2] لانه لا يحتاج الى شيء اذ كان مسكنه الماء وخلق غير ذي رئية لانه لا يستطيع ان يتنفس وهو منغمس في اللجة وجعلت له مكان القوائم اجنحة يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاذيف من جانبي السفينة وكسى جسمه قشوراً متداخلة كتداخل الدروع والجواشن لتقيه من الآفات وأعين بفضل حس في الشم لان بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد فيتبعه وإلا فكيف يعلم به وبموضعه واعلم ان من فيه الى صماخيه منافذ فهو يعب الماء بفيه ويرسله بصماخيه فيتروح الى ذلك كما يتروح غيره من الحيوان الى هذا الشم ، فكر الآن في كثرة نسله وما خص به من ذلك فانك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة والعلة في ذلك ان يتسع لما يغتذى به من اصناف الحيوان فان اكثرها يأكل السمك حتى ان السباع ايضاً في

---

(١) لايكرثها ويثقلها ويحرجها. (٢) تقوم زعانفه في الماء مقام قوائم غيره ويقوم خيشومه في النقاط الاوكسجين من الماء مكان رئة الحيوان البري .

حافات الاجام عاكفة أيضاً ترصد السمك فاذا مر بها خطفته فلما كانت السباع تأكل السمك والسمك يأكل السمك كان من التدبير فيه ان يكون على ماهو عليه من الكثرة فاذا اردت ان تعرف سعة حكمة الخالق وقصر علم المخلوقين فانظر الى ما في البحار من ضروب السمك ودواب الماء والاصداف والاصناف التي لا تحصى ولا تعرف منافعها الا بالشيء بعد الشيء يدركه الناس باسباب تحدث مثل القرمز فانه لما عرف الناس صبغه بان كلبة تجول على شاطيء البحر فوجدت شيئاً من الصنف الذي يسمى الحاذون فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس الى حسنه فاتخذوه صبغاً واشباه هذا مما اتفق الناس عليه حالا بعد حال وزماناً بعد زمان

قال المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي عليه السلام الى الصلاة وقال بكر الى غداً ان شاء الله تعالى فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجاً بما منحنيه حامداً لله على ما آتانيه فبت ليلتي مسروراً مبتهجاً

تم المجلس الثاني

قال المفضل فلما كان اليوم الثالث بكرت الى مولاي فاستؤذن لي عليه فدخلت فاذن لي بالجلوس فجلست فقال عليه السلام .

«الحمد لله الذي اصطفانا ولم يصطف علينا» اصطفانا بعلمه وأيدنا بحلمه

من شذعنا فالنار مـــأواه ومن تفيأ بظل دوحتنـــا فالجنة مثواه [1]

قد شرحت لـــك يا مفضل خلق الانسان ومـــا دبر به وتنقله في احواله ومـــا فيه من الاعتبار وشرحت لك أمر الحيوان

وانا ابتدىء الآن بذكر الســـماء والشمس والقمر والنجوم والفلك والليل والنهار والحر والبرد والرياح والجواهر الاربعة الأرض والماء والهواء والنار [2] والمطر والصخر والجبال والطين والحجارة والنخل والشجر وما في ذلك من الادلة والعبر

فكر في لون السماء [3] وما فيه من صواب التدبير فان هذا اللون أشد الالوان موافقة وتقوية للبصر حتى ان مـن صفات الاطباء لمن اصابه شيء اضر ببصره ادمـان النظر الى الخضرة وما قرب منها ولمن كل بصره الاطلاع في اجانة خضراء مملؤة ماء فانظر كيف جعل الله سبحانه وتعالى أديم السماء بهذا اللون الاخضر الى السواد ليمسك الابصار المتقلبة عليه فلا تنكأ فيها بطول

---

(١) جاء في الحديث تركت فيكم ما ان تمسكتم به بعدي لن تضلوا أبدا كتاب الله وسنتي وفي لفظ وعترتي

(٢) كان الاوائل يرجعون العناصر الى اربعة كما ذكرهـــا والان زادت على ٩٢ عنصر او قد ارجعوها جميعاً الى عنصرى الكهرباء الموجبة والسالبة

(٣) هذا اللون الازرق الفاتح لون طبقات الجو لتكسر الاشعة البنفسجية احدى اجزاء الضوء السبعة المركب منها الضوء الابيض وهي وان كانت لون طبقات الجو فهي ترى من فوقنا سماء لنا

مباشرتها له فصار هذا الذي ادركه الناس بالفكر والروية والتجارب يوجد مفروغاً منه في الخلقة حكمة بالغة ليعتبر بها المعتبرون ويفكر فيها الملحدون قاتلهم الله انى يؤفكون

فكر يا مفضل في طلوع الشمس وغروبها لاقامة دولتي النهار والليل [1] فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معايشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنون بالعيش بعد فقدهم لذة النور ووجه الارب في طلوعها ظاهر مستغنى بظهوره عن الاطناب في ذكره والزيادة في شرحه . تأمل المنفعة في غروبها فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم الى الهدوء والراحة لسكون أبدانهم وجمع حواسهم وانبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء الى الاعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما تعظم نكايته في ابدانهم فان كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل بظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء ولا قرار حرصاً على الكسب والجمع والادخار ثم كانت الارض تستحمى بدوام الشمس بضيائها ويحمى كل ما عليها من حيوان ونبات

---

(١) قال تعالى (قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله يأتيكم بضيائه افلا تسمعون قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

فقدرها الله بحكمته وتدبيره فتطلع وقتاً وتغرب وقتاً بمنزلة سراج يرفع لاهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدءوا ويقروا فصار النور والظلمة هع تضادهما متظاهرين على مافيه صلاح العالم ونظامه

فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها [1] لاقامة هذه الأزمنة الاربعة من السنة [2] ومافي ذلك من التدبير والمصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد فيهما مواد الثمار ويتكثف الهواء فينشأ منه السحاب والمطر [3] وتشد أبدان الحيوان وتقوى وفي الربيع تتحرك وتظهر المواد المتولدة في الشتاء وتصلح فيطلع النبات وتنور الاشجار ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء وتنضج الثمار وتتحلل فضول الأبدان ويجف وجه الأرض فتهيأ للبناء والاعمال ، وفي الخريف يصفو الهواء وترتفع الامراض وتصلح الابدان ، ويمتد الليل فيمكن فيه بعض الاعمال لطوله ، ويطيب الهواء وفيه مصالح أخرى لو تقصيت لذكرها لطال فيها الكلام [4]

---

(١) اي في مدارها السنوي او مدار الارض حولها

(٢) يعنى الفصول الاربعة الربيع والصيف والخريف والشتاء

(٣) يمر الهواء على البحار والانهار والمياه فيمتص منها بخاراً يختلف شيما وقلة بحسب درجة حرارته فاذا برد الهواء فى طبقات الجو العليا تكاثف البخار ورؤي سحابا ثم نزل مطرا (٤) وهذا في النصف الشمالي للكرة الارضية ونصفها الجنوبي عكس ذلك تماما فمتى كان عندنا صيف كان عندهم شتاء وبالعكس ومتى كنا في الربيع كانوا في الخريف وبالعكس فسبحان الخلاق العظيم .

فكر الان في تنقل الشمس في البروج الاثني[1] عشر لاقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي تصح فيه الازمنة الاربعة من السنة الشتاء والربيع والصيف والخريف وتستوفي فيها على التمام وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات والثمار وتنتهي الى غايتها ثم تعود فتستأنف النشؤ والنمو الا ترى ان السنة مقدار مسير الشمس من الحمل الى الحمل وفي ادوارها يتكامل الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم الى كل وقت وعصر من غابر الايام وبها يحسب[2] الناس الاعمار والاوقات الموقتة للديون والاجارات والمعاملات وغير ذلك من امورهم وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحة

انظر الى شروقها على العالم كيف دبر ان يكون فانها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لاتعدوه لماوصل شعاعها ومنفعتها الى كثير من الجهات لان الجبال والجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في اول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي الى المغرب فتشرق على ما استترعنها

---

١ ويري متأخرو الفلكيين ان الارض هي التي تدور حول الشمس موازية للبروج الاثني عشر وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة هذه للربيع والصيف ثلاثة للربيع ومثلها للصيف والميزان والقوس والعقرب للخريف والجدي والدلو والحوت للشتاء

٢ (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا)

في أول النهار [1] فلا يبقى موضع من الارض الا أخذ بقسطه من المنفعة منها والأرب الذي قدر له ولو تخلفت مقدار عام او بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء أفلا ترى كيف كان يكون للناس من الامور الجليلة التي لم يكن عندهم فيها حيلة فصارت تجري على مجاريها لا تفتر ولا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه

استدل بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامة في معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الاربعة [2] ونشوء الثمار وتصرمها ولذلك صارت شهور القمر تنتقل فتكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف

فكر في انارته في ظلمة الليل والارب في ذلك فانه مع الحاجة الى الظلمة لهدوء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لاضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من الاعمال لأنه ربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق

---

(١) بل انها في الليل عند قوم تشرق على اخرين ويكون عندهم النهار الا ترى الى اميركا واسيا عندما يكون النهار على احداهما يكون ليل على الاخرى فاستمع الى التوقيت بين مصر ونيويورك فالساعة سبع او ثمان بمصر تكون نيويورك غارقة في نصف الليل وبالعكس ومن شك في ذلك فليستمع الى المذياعات المتنوعة من مصر ونيويورك ولندن الخ

(٢) سنة القمر ٣٥٤ يوما وسنة الشمس ٢٤ ر ٣٦٥ فسنة الشمس الفصولية تزيد على سنة القمر الهلالية باحد عشر يوما تقريبا ولذلك كانت مائة سنة شمسية تساوي ١٠٣ سنة قمرية وبهذا فسر قوله تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) بانها ٣٠٠ سنة شمسية تساوي ٣٠٩ قمرية

الوقت عليهم في بعض الاعمال في النهار وشدة الحر وافراطه فيعمل في ضوء القمر اعمالا شتى كحرث الارض وضرب اللبن وقطع الخشب وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم اذا احتاجوا الى ذلك وأنساً للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض ونقص مع ذلك عن نور الشمس وضيائها لكيلا ينبسط الناس به في العمل انبساطهم بالنهار ويمتنعون من الهدوء والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف القمر خاصة في كماله ومحاقه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله تعالى خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به المعتبرون

فكر يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك[1] ولا تسير الا مجتمعة وبعضها مطلقة تنتقل[2] قلنا انها لو كانت كلها ثابتة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة ومسيرها في كل برج من البروج كما يستدل على اشياء مما يحدث في العالم[3] بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف

(١) وهي النجوم الثوابت كالشعرى والجبار والدب الاكبر والاصغر وكل نجوم السماء الا الكواكب السيارة منها

(٢) وهي الكواكب السيارة وكانت عند الاوائل سبعة ووصلت الان الى تسع وهي بحسب قربها من الشمس او بعدها عطارد والزهرة والارض والمريخ والمشتري وأرانوس ونبتون وبلوطر

(٣) هذا التنجيم الخرافي وليس بصحيح الاستدلال بحركات السيارات على حوادث الارض . قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث ، زينة للسماء ورجوما للشياطين ويهتدي في ظلمات البر والبحر فمن تأول فيها غير ذلك فقد ضل واضاع نصيبه من الهدى ، وفي الحديث : من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر ، والمراد بذلك هذا التنجيم الخرافي الذي يدعى به معرفة الغيب والسعادة والنحس والاجال والارزاق الخ .

ولا رسم يوقف عليه لانه انما يوقف عليه بمسير المنتقلة منهـا بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على مسير السايرعلى الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها ولو كان تنقلها بحال واحـدة لاختلط نظامها وبطلت المأرب فيها ولساغ للقائل أن يقول ان كينونتها على حال واحدة يوجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنـا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المأرب والمصلحة ابين دليل على العمد [1] والتدبير فيها

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحجب في بعضها كمثل الثريا والجوزاء والشعراوين وسهيل فانهـا لوكانت باسرهـا تظهر في وقت واحـد لم يكن لواحد فيهـا على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بهـا لبعض امورهم كمعرفتهم ما يكون من طلوع الثور [2] والجوزاء اذا طلعت واحتجابها اذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجـابه في وقت غير الوقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته ومـا جعلت الثريا [3] وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب

---

(١) القصد والحكمة

(٢) الثور والجوزاء مـن بروح الربيـع فتظهر ليـلا في والخريف والشتاء وتتوسط السماء في العقرب والقوس

(٣) تحتجب الثريا عندما تكون الشمس في برج الثور ثم تظهر بعد ذلك صباحا

في مسيرها فكل واحد منها يسير مسيرين مختلفين أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب والآخر خـــاص لنفسه (١) نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحى فالرحى تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في ذلك تتحرك حركتين مختلفتـين احداهما بنفسها فتوجه امامها والاخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها الى خلفها .

فاسأل الزاعمين ان النجوم صارت على ما هي عليه بالأهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها ان تكون كلها متنقلة وان الاهمال معنى واحد فكيف صارت تأتي بحركتين مختلفتـين على وزن وتقدير ففي هذا بيان ان مسير الفريقين على مـــا يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير وليس باهمـــال كما يزعم المعطلة (٢) .

فان قال قائل ولم صار بعض النجوم ثابتاً وبعضهـا متنقلاً

---

(١) اما الخاص لنفسه نحو المشرق فهي حركته التي تخصه واما سيره من المشرق الى المغرب فظاهري سببه حركة الارض من المغرب الى المشرق فترى السماء كلها شمسها وقمرها ونجومها شارقة من المشرق غاربة من المغرب .

(٢) وقال متأخروا الفلكيين ان مدار الارض بيضاوي قطع ناقص والشمس في احدى بؤرتيه فاذا كانت الارض في الرأس كانت اقرب الى الشمس فتقوى جاذبية الشمس لها وتزداد حركة الارض حينئذ لتقاوم قوة الجاذبية واذا كانت الارض في الذنب والحضيض ازدادت بعداً عن الشمس فتضعف جاذبية الشمس لها وتضعف حركة الارض حينئذ ولم ير لهم تعليلاً لهـذه الظاهرة فحركات الارض على مدارها السنوي تزيد وتنقص وينشأ من ذلك الفرق بـــين الايام الشمسية والايام الوسطية مما جعل لهذه الفروق حقلاً يومياً في النوتيكالات الراقية يسمى بتعديل الزمن .

قلنا انها لو كانت كلها ثابتة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة ومسيرها في كل برج من البروج كما يستدل بها على أشياء مما يحدث في العالم[1] بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لانه انما يوقف عليه بمسير المنتقلة منها بتنقلها في البروج الراتبة كما يستدل على مسير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها ولو كان تنقلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ولساغ للقائل أن يقول ان كينونتها على حال واحدة يوجب عليها الاهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة ابين دليل على العمد[2] والتدبير فيها .

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحجب كمثل الثريا والجوزاء والشعراوين وسهيل فانها لو كانت باسرها تظهر في وقت واحد لم يكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض امورهم كمعرفتهم ما يكون من طلوع الثور[3] والجوزاء اذا طلعت واحتجابها اذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على

---

(١) هذا التنجيم الخرافي وليس بصحيح الاستدلال بحركات السيارات على حوادث الارض . (٢) القصد والحكمة .

(٣) الثور والجوزاء من بروج الربيع فتظهر ليلا في الصيف والخريف والشتاء وتتوسط السماء في العقرب والقوس .

حدته وما جعلت الثريا [1] وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حينا الا لضرب من المصلحة وكذلك جعلت بنات نعش [2] ظاهرة لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون اليها متى أرادوا ان يهتدوا بها الى حيث شاؤا وصار الامران جميعا على اختلافهما موجهين نحو الارب والمصلحة وفيهما مآرب أخرى وعلامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغرس والسفر في البر والبحر وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الامطار والرياح والحر في البر والبحر وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر فانها تسير أسرع السير وأحثه

أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه الم تكن تستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها كالذي يحدث احياناً من البروق اذا توالت واضطرمت في الحد وكذلك ايضاً لو ان اناساً كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حثيثاً لحادت ابصارهم حتى يخرجوا لوجوههم .

---

(١) تحتجب الثريا عندما تكون الشمس في برج الثور ثم تظهر بعد ذلك صباحاً.

(٢) وهي الدب الاكبر والدب الاصغر وهي لاتغيب فى افق بغداد والحجاز ومصر والشام وما وراء هذا شمالا ولكنها تغيب على من في خط الاستواء ومن هم جنوبه كاستراليا ونيوزيلانداوجاوى وجزر الهند الشرقية

فانظر كيف قدر ان يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر بالابصار وتنكأ فيها وباسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها وجعل فيها جزء يسير من الضوء يسد مسد الاضواء اذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة اذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج الى التجافي في جوف الليل فان لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع أن يبرح مكانه .

فتأمل اللطف والتقدير حين جعل الظلمة دولة ومدة لحاجة اليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا

فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه يدور على العالم [1] هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الازمان الاربعة من السنة على الارض وما عليها من اصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بينت وشخصت لك آنفا وهل يخفى على ذي لب

---

(١) والمتأخرون يرون دوراته ظاهريا مرئيا نشأ من دوران الارض حول محورها فنرى السماء كأنها تدور حول الارض ولهم على ذلك ادلة نظرية وعملية من اسهلها جيروسكوب اي البوصلة الدوارة بالكهرباء فانها اذا ركزت عند قطب الارض مدة اربعة وعشرين ساعة دارت حول نفسها دورة كاملة مع انها لا تغير اتجاهها فاذن الارض هي التي دارت هذه الدورة وكذلك البندول المعلق المتحرك من جهة الى ضدها . وشرح دليله يطول فارجع اليه في محله وهذه النجوم البعيدة عنا والسدم التي يبلغ بعدها ملايين السنين النورية فلو كانت هي التي تدور لكانت سرعتها اضعاف ملايين سرعة النور فلا تبقى اجراماً . بل تستحيل الى نور وكهرباء

ان هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم

فان قال قائل انه شيء اتفق ان يكون هكذا فما منعه ان يقول مثل هذا في دولاب يراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات فيرى كل شي من آلاته مقدراً بعضه يلقى بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه افينكر ان يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة تقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرض وما عليها انه شيء اتفق بلا صنعة ولا تقدير لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الالات التي تتخذ للصناعات وغيرها اي شيء كان عند الناس من الحيلة في اصلاحه

فكر يا مفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما اذا امتد الى خمس عشرة [1] ساعة لا يجاوز ذلك افرأيت لو كان النهار يكون مقداره مأئه ساعة الم يكن في ذلك بوار كل ما في الارض من حيوان ونبات [2] اما الحيوان فكان لا يهدؤ ولا يقر طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لودام لها ضوء النهار ولا الانسان كان يفتر عن العمل والحركة وكان ذلك يهلكها اجمع ويؤديها الى التلف واما النبات فكان يطول عليه حر

---

(١) هذا في افق بغداد وفي لندن يمتد الى عشرين ساعة وتحت القطب تنقسم السنة كلها الى ليل مدته ستة شهور ونهار مدته كذلك وتحت خط الاستواء يبقى الليل والنهار طول السنة كل منهما ١٢ ساعة . (٢) فتتبخر البحار ويذوب الحيوان والنبات لشدة الحرارة التي ترتفع الى درجة الغليان وما فوقها

النهار ووهج الشمس حتى يجف ويحترق[1] وكذلك الليل لو امتد هذه المدة كان يعوق اصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى يموت جوعاً وتخمد الحرارة الطبيعية عن النبات حتى يتعفن ويفسد كالذي تراه يحدث عن النبات اذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس اعتبر بهذا الحر والبرد كيف يتعاوران العالم ويتصرفان هذا التصرف في الزيادة والنقصان والاعتدال لاقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيها من المصالح ثم لها ربع الأبدان التي عليها بقاؤها وفيها صلاحها فانه لولا الحر والبرد وتتداولها الابدان لفسدت وأخوت وأنتكأت .

فكر في دخول احدهما على الأخر بهذا التدريج والترسل فانك ترى احدهما ينقص شيئاً بعد شيء والاخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ولو كان دخول احدهما على الاخر مفاجأة لأضر ذلك بالأبدان وأسقمها كما كان احدكم لو خرج من حمام حار الى موضع البرودة لضره ذلك وأسقم بدنه فلم يجعل الله عز وجل هذا الترسل في الحر والبرد الا للسلامة من مرض المفاجأة لولا التدبير في ذلك .

فأن زعم زاعم ان هذا الترسل في دخول الحر والبرد انما يكون لابطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط .

سئل عن العلة في ابطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها فان اعتل في الابطاء ببعدها بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك فلا تزال هذه المسالة توفى معه الى حيث رقي من هذا القول

(١) وكذلك الحيوان والناس

حتى يستقر على العمد والتدبير[1] .

ولولا الحر لما كانت الثمار الصلبة المرة تنضج فتلين وتعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ويربع الربع الكثير الذي يتسع للقوت ، وما يرد في الارض للبذر افلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه لا يؤلم الأبدان ويمضها وفي ذلك عبرة لمن فكر ودلالة على انه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه .

وأنبهك يا مفضل عن الريح وما فيها ألست ترى ركودها اذا ركدت كيف يحدث الركد الذي يكاد أن يأتي على النفوس ويمرض الأصحاء وينهك المرضى ويفسد الثمار ويفسد البقول ويعقب الوباء في الأبدان والآفة في الغلات ففي هذا بيان ان هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق وانبئك عن الهواء بخلة اخرى فان الصوت اثر يؤثره اصطكاك الاجسام في الهواء والهواء يؤديه الى مسامع الناس يتكلمون في حوائجهم ومعاملاتهم طول نهارهم وبعض ليلهم فلو كان اثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلأ العالم منه فكان يكربهم ويفدحهم فكانوا يحتاجون اليه في تجديده والاستبدال به الى اكثر مما يحتاج اليه في تجديد القراطيس لانه ما يلفظ من

---

(١) اى حتى ينتهي الامر الى الاعتراف بالحكمة والتقدير وتقدير الصانع الحكيم لصنعته وذلك تقدير العزيز الحكيم .

الكلام اكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاساً خفياً يحمل الكلام ريثما يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحى ويعود جديداً نقياً ويحمل ما حمل ابداً بلا انقطاع وحسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة وما فيه من المصالح فانه حياة هذه الأبدان والممسك لها من داخل بما يستنشق منه من خارج بما يباشر من روحه[1] وفيه تطرد هذه الاصوات فيؤدي بها من البعد البعيد وهو الحامل لهذه الارواح[2] ينقلها من موضع الى موضع الا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت وهو القابل لهذا الحر والبرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه ومنه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الأجسام وتزجي السحاب من موضع الى موضع ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر وبعضه حتى يستخف فيغشى وتلقح الشجر[3]

---

(١) يتركب الهواء من الاكسجين والهيدروجين بنسبة ٢٠ بالمئة من الاول و ٨٠ بالمئة من الثاني ونسبة قليلة من ثاني اوكسيد الكربون وعلى الاول حياة الحيوان والانسان فيما يستنشقه من الاكسجين يدور في الدم ويتحد في الخلايا بما فيها من نشويات وسكريات ودهنيات فيولد حرارة البدن وقوته والهيدروجين ملطف للاكسجين حتى لا تحترق به الابدان وثاني اوكسيد الكربون يمتصه بخضور الشجر في دورته فيأخذ منه كربونه ويركبه مع ما يمتصه من الأرض من املاحها الذائبة في الماء فيركب منه سكراً وزيتاً وفواكه وثماراً وخشباً للحطب الخ ... وفي الهواء بجملته قوة امتصاص البخار من الماء ليكون سحاباً ومطراً .

(٢) الروائح التي تفوح من الازهار . (٣) بمرورها على سطح البحار والانهار والمياه تمتص منه بخاره العذب وتترك املاحه وتطير بها الرياح الى الطبقات العالية من الجو فتتحول سحاباً وضباباً ورذاذاً ومطراً .

وتسير السفن وترخي الأطعمة وتبرد الماء وتشب النار[1] وتجفف الاشياء الندية[2] .

وبالجملة انها تحي كل ما في الارض فلولا الريح لذوى النبات ولمات الحيوان وحمت الاشياء وفسدت .

فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هـــذه الجواهر الأربعة ليتسع ما يحتاج اليه منها فمن ذلك سعة هذه الارض وامتدادها فلولا ذلك كيف كانت تتسع لمكان الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت اخشابهم واحطابهم والعقاقير العظيمة والمعادن الجسيم غناؤها ولعل من ينكر هـــذه الفلوات الخالية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومراعيها ثم فيها بعد تنفس ومضطرب للناس اذا احتاجوا الى الاستبدال بأوطانهم فكم بيداء وكم فدفد حالت قصوراً وجناناً بانتقال الناس اليها وحلولهم فيها ولولا سعة الارض وفسحتهـــا لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه اذا احزنه امر يضطره الى الانتقال عنه .

---

(١) ينقل لقاح ذكور الازهار الى مبيض انوثتها فتنشأ الحبوب والفواكه وفي كل زهرة اعضاء تذكير وعضو تأنيث ومن تلقيحها تنشأ الحبوب والثمار وفي النخل يتميز الذكر عن الانثى فيكون للذكر نخلة وللانثى اخرى وفي الذرة الشامية عضو التذكير في السنبلة اعلاها وعضو التأنيث في شعرات العرنوس بوسطها وصدق الله ارسلنا الرياح لواقح، ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون

(٢) بما فيها من الاكسجين وقد امكن للصناعة استخلاص الاكسجين صرفا وبمزجه مع الكربون وجدت نار قوية يلحم بها الحديد ويذاب بها المعادن .

ثم فكر في خلق هذه الارض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة فتكون موطناً مستقراً للاشياء [1] فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليهـــا لراحتهم والنوم لهدوئهم والانتقال لأعمالهم فانهـا لو كانت رجراجة متكفئة لم يكونوا يستطيعون ان يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما اشبه ذلك بل كانوا لا يتهنون بالعيش والأرض ترتـــج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة مكثها حتى يصيروا الى ترك منازلهم والهرب عنها .

(فان قال قائل) فلم صارت هذه الارض تزلزل قيل له ان الزلزلة وما اشبهها موعظة وترهيب يرهب بها الناس ليروعوا وينزعوا عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في ابدانهم واموالهم يجري في التدبير عـــلى ما فيه صلاحهم [2] واستقامتهم ويدخر لهم ان صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من امور الدنيا وربما عجل في الدنيا اذا كان ذلـك صلاحاً للعامة والخاصة .

---

(١) مع الدوران العظيم الذي لا نحس به ولا يقلب علينا الاواني، سكون تام في حركة سريعة اكثر من الف ميل في الساعة .

(٢) (واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فيؤوس قنوط) ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير)

ثم ان الارض في طبعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وانما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة أفرأيت لو ان اليبس افرط على الارض قليلا حتى تكون حجراً صلباً اكانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث او بناء افلا ترى كيف نقصت عن يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة لتتهيأ للاعتماد ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقة الارض ان مهب الشمال ارفع من مهب الجنوب فيسقيها وقتها ثم يفيض اخر ذلك الى البحر وكأنما يرفع احد جانبي السطح ويخفض الاخر لينحدر الماء عنه[1] ولا يقوم عليه كذلك مهب الجنوب لهذه العلة بعينها ولولا ذلك بقي الماء متحيراً على وجه الارض وكان يمنع الناس من اعتمالها ويقطع الطرق والمسالك .

ثم الماء لولا كثرته وتدفقه في العيون والاودية والانهار لضاق عما يحتاج اليه الناس لشربهم وشرب انعامهم ومواشيهم وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف غلاتهم وشرب ما يرده من الوحوش والطير والسباع وتتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه منافع أخر انت بها عارف وعن عظيم موقعها غافل فانه سوّى الامر الجليل المعروف من عظيم عنايته في احياء جميع ما على الارض من الحيوان والنبات بمزج الاشربة فتلذ وتطيب

(١) هذا بالنسبة لبلاد العراق واما مصر فبعكس ذلك وكل بلاد لها انحدارها بحسب موقع الجبال منها فالجبال مساقط الامطار فيها العيون والانهار والبحار مصبها ومنحدرها .

لشاربها ، وبه تنظف الابدان والامتعة مـــن الدرن الذي يغشاها ، وبه يبل التراب فيصلح للأعمال ، وبه يكف عـادية النار اذا اضطرمت وأشرف الناس على المكروه ، وبه يستحم المتعب الكال فيجد الراحة من اوصابه الى أشباه هذا مـــن المآرب التي يعرف عظيم موقعها في وقت الحاجة اليها .

فان شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار، وقلت ما الأرب فيه فاعلم انه مكتنف ومضطرب مالا يحصى من أصناف السمك ودواب البحر ومعدن اللؤلؤ والياقوت والعنبر وأصناف شتى تستخرج من البحر وسواحله منابت العود اليلنجوج وضروب من الطيب والعقاقير ثم هو بعـد مركب للناس[1] ومحمل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين الى العراق ومن العراق الى الصين[2] فان هذه التجارات لو لم يكن لها محمل الا على الظهر لبادت وبقيت في بلدانها وبأيدي أهلها لان اجر حملها يجاوز اثمانها فلا يتعرض احد لحملها وكان يجتمع في ذلك امران (احدهما) فقد اشياء كثيرة تعظم الحاجة اليها والاخر انقطاع معاش من يحملهـــا ويعيش بفضلها .

وهكذا الهواء لولا كثرته وسعته لاختنق هذا الأنام من الدخان والبخار الذي يتبخر ويعجز عمـــا يحول الى السحاب

---

(١) سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون)

(٢) وكذلك من بلدان اوربا وامريكا الى آسيا وافريقيا وبالعكس .

والضباب فقد تقدم من صفته ما فيه كفاية [1]

والنار ايضاً كذلك فانها لو كانت مبثوثة كالنسيم والماء كانت تحرق العالم وما فيه ولما لم يكن بد من ظهورها في الاحايين لغنائها في كثير من المصالح جعلت كالمخزونة في الاخشاب فتلتمس عند الحاجة اليها وتمسك بالمادة والحطب فتعظم المؤونة في ذلك ولا هي تظهر مبثوثة فتحرق كل ما هي فيه بل على هيئة وتقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها والسلامة من ضررها، ثم فيها خلة اخرى وهي انها مما خص بها الانسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فانه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فاما البهائم فلا تستعملها ولا تستمتع [2] بها ولما قدر الله عز وجل ان يكون هذا هكذا خلق الانسان بكف واصابع مهيأة لقدح النار واستعمالها [3] ولم يعط البهائم مثل ذلك لكنها اعينت بالصبر على الجفاء والخلل في المعاش لكيلا ينالها في فقد النار ما ينال الانسان عند فقدها .

وأنبئك من منافع النار على خلة صغيرة عظيم موقعها وهي هذا المصباح الذي يتخذه الناس فيقضون به حوائجهم ما شاؤا

---

(١) بل لولا الهواء لما عاش انسان ولا حيوان ولا نبات على وجه الارض كما تقدم .

(٢) وجد بعض القردة ناراً فأكلوا ما فيها مما شوته من حيوان ثم لم تعرف ان تمدها بالحطب حتى طفئت مع انها أذكى الحيوان .

(٣) وافرد الابهام وحده مقابلا للاصابع الاربع ليقبض مع اي واحد منها ما يراد امساكه ولو كان في صفها لما تيسر منه ذلك

في ليلهم ولولا هذه الحلة لكان تتصرم أعمارهم ليلا بمنزلة من في القبور فمن كان يستطيع ان يكتب او يحفظ او ينسج في ظلمة الليل وكيف كانت حال من عرض له وجع في وقت من اوقات الليل فاحتاج الى ان يعالج ضمـــادا او سفوفاً او شيئاً يستشفى به[1]

فاما منافعها في نضج الأطعمة ودفء الابدان وتجفيف الأشياء وتحليل الأشياء واشباه ذلك فاكثر من ان يحصى واظهر من ان يخفى

فكر يا مفضل في الصحو والمطر كيف يتعاقبان على هذا العالم بمـــا فيه صلاحه ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده الا ترى أن الامطـــار اذا توالت عفنت البقول والخضر واسترخت ابدان الحيوان وخبث الهواء[2] فاحدث ضروبا من الامراض وفسدت الطرق والمســـالك واذا دام الصحو جفت الارض واحترق النبات بفيض ماء العيون والأودية فاضر ذلك بالناس وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروبـــاً اخرى من الأمراض فاذا تعاقب على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية الاخر فصلحت الاشياء واستقامت

فان قال قائل ولم (؟) لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة (قيل) له ليمض ذلك الانسان ويؤلمه بعض الألم فيرعوى

---

(١) وقد هدى الله البشر الى اختراع الكهرباء تسد مسد النار عند من يستطيعها من اهل الحضر

(٢) مما ينشأ عنها من الاوحال والمستنقعات لا من الامطار ذاتها

عن المعاصي فكما ان الانسان اذا سقم بدنه احتاج الى الأدوية المرة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه فكذلك اذا طغى واشتد احتاج الى مـا يمضه ويؤلمه ليرعوي ويقصر عن مساويه ويثبته على ما فيه هديه ورشده

ولو ان ملكاً من الملوك قسم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضة الم يكن سيعظم عندهم ويذهب له بالصوت [1] فاين هذامن مطر دوام يعم به البلاد ويزيـــد في الغلات اكثر من قناطير الذهب والفضة في أقاليم الأرض كلهـا أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيهـــا وهم ساهمون وربما عاق أحدهم عن حاجة لاقدر [2] لها فيتذمر ويسخط ايثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جميلا محمودالعاقبة ومع قلة مصرفه عظيم الغناء والمنفعة

تأمل نزوله على الارض والتدبير في ذلك فانه جعل ينحدر من علو ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان انما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها ويقل ما يزرع في الأرض الا ترى ان الذي يزرع سيحا [3] أقل من ذلك فالأمطار هي التي تطبق [4] الأرض وربمـــا تزرع هذه البراري الواسعة

---

(١) الصيت والجاه

(٢) يعني ان المطر ربما فوت على الانسان غرضاً تافهاً فيسخط مع مـا في المطر من الخير العميم والنعم العظمى

(٣) أي بفيضان الانهار والعيون

(٤) تعمها

وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع الى موضع وما يجري بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالمـــاء ذو العز والقوة ويحرمه الضعفاء

ثم انه حين قدر أن ينحدر على الارض انحداراً جعل ذلك القطر شبيهـاً بالرش ليغور في قعر الأرض فيرويها ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الارض فلا يغور فيهـا ثم كان يحطم الزروع القائمة إذا اندفق عليهـــا فصار ينزل نزولاً رقيقاً فينبت حب الزروع وتحيا الأرض والزرع القـائم وفي نزوله ايضاً مصالح أخرى فانه يلين الأبدان ويجلو أكدار الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك ويغسل مـــا يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى باليرقان الى أشباه هذا من المنافع

فان قـــال قائل اوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه أو برد يكون فيه حطم الغلات وأبخرة يحدثها في الهواء فيولد كثيراً من الأمراض في الأبدان والافات في الغلات (قيل) بلى قديكون ذلك لفرط ما فيه من صلاح الانسان وكفه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فتكون المصلحة فيما يصلح له من دينه أرجح مما عسى ان يرضى في ماله

انظر يا مفضل الى هذه الجبال المركومة من الطين والحجارة التي يحسبها الغافلون فضلًا لا حاجة اليها والمنافع فيها كثيرة فمن ذلك ان تسقط عليها الثلوج فتبقى في قلالها لمن يحتاج اليه ويذوب

ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام وينبت فيها ضروب من النبات والعقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل ويكون كهوف ومغاير للوحوش من السباع العادية ويتخذ منها الحصون والقلاع المنيعة للتحرز من الاعداء وينحت منها الحجارة للبناء والأرحاء ويؤخذ منها معادن الضروب من الجواهر وفيها خلال اخر لا يوفيها الا المقدر لها في سابق علمه[1].

فكر يا مفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجبسين والزرنيخ والمرتك والنوتيا والزيبق والنحاس والرصاص والفضة والزبرجد والزمرد وضروب الحجارة وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك[2] مما يستعمله الناس في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للانسان في هذه الارض يستخرجها فيستعملها عند الحاجة اليها[3] ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعتها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فانهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض

---

(١) ومنها ما ذكره الله تعالى في قوله (والجبال ارساها متاعاً لكم ولانعامكم) وقوله (والقيا في الارض رواسي ان تميد بكم) فالجبال على الكرة الارضية تنظم حركة الارض فلا تهتز ولا تضطرب بل تدور بتوازن تام كانه سكون .

(٢) والذهب والاورانيوم الذي هو مادة القنبلة الذرية .

(٣) ومن ذلك البترول المخزون في جوف الارض من بقايا جثث حيوانية واعشاب تعفنت وتحولت بترولا خزنه الله للناس اليوم .

في العالم حتى تكثر الفضة والذهب وتسقط عند الناس فلا تكون لها قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشراء والبيع والمعاملات[1] ولا كان يجبي السلطان الأموال ولا يدخرها احد الأعقاب وقد اعطى الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل والفضة من الرصاص والذهب من الفضة واشباه ذلك مما لا مضرة فيه فنظر كيف اعطوا ارادتهم في ما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك فيما كان ضاراً لهم لو نالوه ومن اوغل في المعادن انتهى الى واد عظيم يجري منصلتا بماء غزير لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن وراءه امثال الجبال من الفضة [2].

تفكر الان في هذا من تدبير الخالق الحكيم فانه اراد جل ثناؤه ان يري العباد قدرته وسعة خزائنه ليعلموا انه لو شاء ان يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل [3] لكن لا صلاح لهم في ذلك لانه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك بانه قد يظهر الشيء الظريف مما يحدثه الناس من الاواني والامتعة فما دام عزيزاً قليلاً فهو نفيس

---

(١) يعني لو امكن صنعها كيماوياً بسهولة وقد وصلوا الآن بواسطة تحويل بعض العناصر الى بعض بانقاص كهاربها وزيادتها على فتوناتها لصنعه ذهب كيماوي ولكن تكاليفه اضعاف اضعاف اضعاف ثمنه الطبيعي منه .

(٢) لعل هذا مما وثق فيه الصادق بكذابي اليهود كوهب وكعب الاحبار فظن صدقهم وتحدث به .

(٣) ولو ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين .

جليل الثمن فاذا فشا وكثر في ايدي الناس سقط عندهم وخست قيمته ، ونفاسة الاشياء من عزتها .

فكر يا مفضل في هذا النبات وما فيه من ضروب المآرب فالثمار للغذاء والاتبان[1] للعلف والحطب للوقود والخشب لكل شيء من انواع النجارة واللحا والورق والاصول والعروق والصموغ لضروب من المنافع ارأيت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الارض ولم تكن تنبت على هذه الاغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا وان كان الغذاء موجوداً فان المنافع بالخشب والحطب والاتبان وسائر ما عددناه كثيرة عظيم قدرها جليل موقعها هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظره ونضارته التي لا يعدلها شيء من مناظر العالم وملاهيه .

فكر يا مفضل في هذا الربع الذي جعل في الزروع فصارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة واكثر واقل وكان يجوز للحبة أن تأتي بمثلها فلم صارت تربع هذا الربع الا ليكون في الغلة منبع يتسع لما يرد في الأرض من البذر وما يتفوت الزراع[2] الى ادراك زرعها المستقبل الا ترى ان الملك لو اراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطي أهله ما يبذرونه في ارضهم وما يقوتهم الى ادراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا

---

(١) جمع تبن عيدان القمح والشعير التي تداس لتعلف بها الماشية ومنه يستخرج السكر والنشا والزيت والفيتامينات الخ.

(٢) وسائر الناس .

المثال قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع يربع هذا الربع ليفي بما يحتاج اليه للقوت والزراعة وكذلك الشجر ونبت النخل[1] يربع الربع الكثير فانك ترى الاصل الواحد حوله من فراخه أمر عظيم فلم كان كذلك الا ليكون فيه ما يقطعه الناس ويستعملونه في مآربهم وما يرد فيغرس في الارض ولو كان الاصل منها يبقى منفرداً لا يفرخ ولا يربع لما امكن ان يقطع منه شيء لعمل ولا لغرس ثم كان اذا اصابته آفة انقطع اصله فلم يكن منه خلف .

تأمل نبات هذه الحبوبات من العدس والماش والباقلي وما اشبه ذلك فانها تخرج في اوعية مثل الخرائط لتصونها وتحجبها من الافات الى ان تشتد وتستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه واما البر وما اشبهه فانه يخرج مدرجاً في قشور صلاب على رؤوسها مثل الاسنة[2] من السنبل ليمتنع الطير منه ليتوفر على الزراع فان قال قائل او ليس قد ينال الطير من البر والحبوب قيل له بلى على هذا قدر الأمر فيها لانه خلق من خلق الله تعالى وقد جعل الله تعالى وتبارك له في ما تخرج الارض حظاً ولكن حفت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيبعث فيها ويفسد الفساد الفاحش فان الطير لو صادف الحب بارزاً ليس عليه شيء يحول لأكب

---

(١) (والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد)

(٢) هذه التي مثل الاسنة هي مجاري لقاح التذكير الى مبايض التأنيث فهي مثل مهبل الرحم يمر منه الماء للرحمة .

عليه حتى ينفسد اصلا وكان يعرض من ذلك أن يبشم فيموت ويخرج الزراع من زرعه صفراً فجعلت عليه هـــذه الوقايات لتصونه فينال الطاير منه شيئاً يسيراً يتقوت به ويبقى اكثره للأنسان فانه اولى به اذ كان هو الذي كدح فيه وشقى به وكان الذي يحتاج اليه اكثر مما يحتاج اليه الطير .

تأمل الحكمة في خلق الشجر واصناف النبات فانها لما كانت تحتاج الى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان ولم يكن لهـــا أفواه كأفواه الحيوان ولا حركة تنبعث بها لتناول الغذاء جعلت اصولها مركوزة في الارض لتزع الغذاء فتؤديه الى الغذاء وما عليها من الورق[1] والثمر فصارت الارض كالأم المربيـــة لها وصارت اصولها التي هي كالافواه ملتقمة للارض لتزع الغذاء كما توضع اصناف الحيوان من امهاتها .

الم تر الى عمد[2] الفساطيط والخيم كيف تمد بالاطناب من جانب لتثبت منتصبة فلا تسقط ولا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة في الأرض ممتدة الى كل جانب لتمسكه وتقيمه ولولا ذلك كيف كان يثبت هذه النخل الطوال والدوح العظام في الريح العاصف فانظر الى حكمة الخالق كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات الفساطيط

---

(١) وجعل الورق لها كالرئة للحيوان يمتص به ضوء الشمس وغاز ثاني اوكسيد الفحم فتأخذ الفحم منه وتركبه مع تأثير الضوء فيما يمتص مع الماء من املاح بيرو يمزج به السكر والنشا والزيت والثمار والخشب .

(٢) وصار ورقها بما فيه الكلوروفيل «الخيضور» كالرئات للحيوان

والحيم متقدمة في خلق الشجر قبل صنعة القساطيط والحيم الا ترى الى عمدها وعيدانها من الشجر فالصناعة مأخوذة من الخلقة

تأمل يا مفضل خلق الورق ترى في الورقة شبـــه العروق مبثوثة فيها اجمع فيها غلاظ ممتدة في طولها وعرضها ومنها دقاق تتخلل تلك الغلاظ منسوجة نسجاً دقيقاً معجماً لو كان مما يصنع بالايدي كصنعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل ولا احتيج الى الات وحركة وعلاج فصار يأتي منه في ايام قلائل من الربيع ما يملأ الجبال والسهل وبقاع الارض كلها بلا حركة ولا علاج الا بالارادة النافذة في كل شيء والامر المطاع[1] واعرف مع ذلك العلة في تلك العروق الدقاق فانها جعلت تتخلل الورقة باسرها لتسقيها وتوصل الماء اليها بمنزلة العروق المبثوثة في البدن لتوصل الغذاء الى كل جزء منها[2] وفي الغلاظ منها معنى اخر تمسك للورقة بصلابتها ومتانتها لئلا تنهتك وتتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها العيدان ممدودة في طولها وعرضها لتتماسك فالصناعة تحكي الخلقة وان كانت لا تدركها على الحقيقة .

فكر في هذا العجم والنوى والعلة فيه فانه جعل في جوف الثمرة ليقوم مقام الغرس ان عاق دون الغرس كما يحرز الشيء

---

(١) يعني اراده الذي اذا اراد شيئاً قال له كن فكان وامره الكوني المطاع (انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون).

(٢) وفيها الكلوروفيل اليخضور لامتصاص ضوء الشمس وطاقتها ليخزنها مع املاح غذاء الشجر سكراً وزيتاً ونشاء وخشباً .

النفيس الذي تعظم الحاجة اليه في مواضع أخر وان حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع أخر ثم هو بعد يمسك بصلابته رخاوة الثمار ورقتها ولولا ذلك لتشدخت وتفسخت وأسرع اليها الفساد وبعضه يؤكل [1] وبعضه يستخرج دهنه [2] فيستعمل منه ضروب من المصالح وقد تبين لك موقع الارب في العجم والنوى

فكر الان في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة وفوق العجم من العنبة فما العلة فيه لماذا يخرج في هذه الهيئة وقد كان يمكن ان يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكل كمثل ما يكون في السدر والدلب وما اشبه ذلك فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة الا ليستمتع بها الانسان

فكر في ضروب من التدبير في الشجر فانك تراه يموت [3] في كل سنة موتة فتحتبس الحرارة الغريزية في عوده فيتولد فيه مواد الثمار ثم يحيا وينتظر فيأتيك بهذه الفواكه نوعاً بعد نوع كما تقدم اليك أنواع الأطبخة التي تعالج بالأيدي واحداً بعد واحد فترى الاغصان في الشجر تتلقاك بثمارها حتى كأنها تناولكها عن يد

---

(١) كلب الجوز والبندق والفستق .

(٢) كبزرة القطن والقرطم والسمسم .

(٣) ولو قيل ينام في سبات عميق آخر فصل الخريف وجميع فصل الشتاء حتى يستيقظ اول الربيع .

وترى الرياحين تتلقاك في افنانها كأنها تحييك بانفاسها فلمن هذا التقدير الالمقدر حكيم وما العلة فيه الا لتفكيه الانسان بهذه الثمار والانوار [1] والعجب من اناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها [2]

اعتبر بخلق الرمانة وما ترى فيها اثر العمد [3] والتدبير فانك ترى فيها كامثال النلال من شحم مركوم في نواحيها وحب مرصوص كنحو ما ينضد بالايدي وترى الحب مقسوماً اقساماً وكل قسم منها ملفوفاً بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسيج وألطفه وقشره يضم ذلك كله فمن التدبير في هذه الصنعة انه لم يكن يجوز ان يكون حشو الرمانة من الحب وحده وذلك ان الحب لا يمد بعضه بعضاً فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء الا ترى ان أصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ثم لف بتلك اللفايف لتضمه وتمسكه فلا يضطرب وغشى من فوق ذلك بالقشر المستخصفة ليصونه ويحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير من وصف الرمانة وفيه اكثر من هذا لمن اراد الاطناب والتذرع في الكلام ولكن فيما ذكرت كفاية في الدلالة

---

(١) جمع نور وهي الأزهار بما فيها من البهجة والسرور والالوان الفاتنة والاريح العطر الذكي الذي هو لقاح مبيض الزهرة فتحمل الثمرة كما قال تعالى: وارسلنا الرياح لواقح (٢) (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون) (افبنعمة الله يجحدون) (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار (٣) الحكمة والعلم

والاعتبار [1]

فكر يا مفضل في حمل اليقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء والقثاء والبطيخ وما في ذلك من التدبير والحكمة فانه حين قدر ان يحمل مثل هذه الثمار جعل نباته منبسطاً على الارض ولو كان ينتصب قائما كانتصاب الزرع والشجر لما استطاع ان يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة ولتقصفت قبل ادراكها وانتهايها فانظر كيف صار يمتد على وجه الارض ليلقي عليها ثماره فتحملها عنه فترى الاصل من القرع والبطيخ مفترشاً للارض وثماره مبثوثة عليها وحواليه مثل هرة ممتدة وقد اكتنفها اجراؤها لترضع [2] منها

انظر كيف صارت الاصناف توافي في الوقت المشكل لها من حرارة الصيف ووقدة الحر فتلقاها بانشراح وتشوق اليها ولو كانت توافي في الشتاء لاقتضت من الناس كراهة لها واقشعرارا منها مع ما يكون فيها من المضرة للابدان الا ترى انه ربما

---

(١) من ذلك أن منه الحلو والفاكهة والحامض الذي له فوائد الحموضة ورأيناه أهل الشام ولبنان يلذ لهم الطعام محمضاً بليمون او عصير الرمان الحامض . وفي قشره عفوصة تقبض ذرب البطن فمن ذربت بطنه لسوء الهضم ومل من انطلاقها بعد ماينظف الجوف من الفضلات فليشرب نقيع قشر الرمان فانه يمسك ذرب البطن بمايشد من عضلات المعدة والامعاء .

(٢) مر (جحا) تحت جوزة عظيمة او تينة ثم رأى يقطينة فيها بطيخة عظيمة او دباءة فقال بطيخة كبيرة في يقطينة صغيرة وبينة صغيرة في شجرة كبيرة ما هذا النظام ، ثم نام تحت التينة فسقطت تينة على رأسه فانتبه وقال الحمد لله لو كانت بطيخة كسرت رأسي

ادرك من شيء الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من اكله الا الشره الذي لا يمتنع من اكل ما يضره ويسقم معدته[1]

فكر يا مفضل في النخل فانه لما صار فيه اناث تحتاج الى التلقيح جعلت فيه ذكورة للقاح من غير اغراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي يلقح الاناث لتحمل وهو لا يحمل[2] تأمل خلقة الجذع كيف هو فانك تراه كالمنسوج نسجاً من خيوط ممدودة كالسدى واخرى معه معترضة كاللحمة كنحو ما ينسج بالايدي في ذلك ليشتد ولا يتقصف من حمل القنوان وهز الرياح العواصف وليتهيأ للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه اذا صار جذعاً وكذلك ترى الخشب مثل النسخ فانك ترى بعضه متداخلا طولا وعرضا كتداخل اجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه من الالات فانه لو كان مستحصفا كالحجارة لم يمكن ان يستعمل منه الخشبة

---

(١) خزن الناس فواكه الصيف مربيات في علب واكلوها شتاء ولا ضرر عليهم من ذلك وجاءت الطائرات بسرعتها والسفن بثلاجاتها بفواكه الاقطار الحارة ، كجاوى واستراليا الينا في الشتاء فاكلنا من فواكه الصيف في أيام الشتاء ، ولا ضرر علينا ولا ضير . (٢) كما ان في النخل ذكر وانثى يتلاقحان ففي كل الزروع المثمرة وذوات الحب ذكر وانثى يجتمعان في الزهرة الواحدة وفي السنبلة فهذا الفرق بين النخل وغيره يتميز الذكر عن الانثى في النخل ويتحدان في زهرة واحدة في غيره وفي الذرة الشامية والحبشية بلغة اهل الحجاز عضو التذكير فيها السنبلة العليا والمبيض والتأنيث في العرقوس بخيوطه ومبايضه ، قال الله تعالى « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » « وانبتنا فيها من كل زوج بهيج » .

الابواب والاسرة والنوابيت وما اشبه ذلك ومن جسيم المصالح في الخشب انه يطفو على الماء فكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف جلالة الامر فيه فلولا هذه الخلة كيف كانت هذه السفن والاظراف تحمل امثال الجبال من الحمولة واين كان الناس ينال هذا الرفق وخفة المؤونة في حمل التجارات من بلد الى بلد فلولاها كانت تعظم المؤونة عليهم في حملها حتى يلقى كثير مما يحتاج اليه في بعض البلدان مقصوراً وعسرا وجوده

فكر في هذه العقاقير وما خص بها كل واحد منهـــا من العمل في بعض الادواء فهذا يغور في بعد المفاصل فيستخرج النضول الغليظة مثل الشيطوج وهذا ينزف المرة السوداء مثل الافيتمون وهذا ينفي الرياح مثل السكبينج وهذا يحلل الاورام واشباه هذا من افعالها فمن جعل هذه القوى فيها الا من خلقها للمنفعة ومن فطن الناس لها الا من جعل هذا فيها ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق وان كان هذا الانسان فطن لهذه الاشياء بذهنه ولطيف رويته وتجاربه فالبهايم كيف فطنت لها حتى صار بعضها يتداوى من جراحه ان اصابته ببعض العقاقير[1] وبعض الطير يحتقن من الحصر بصيبه بماء البحر فيسلم[2]

---

(١) وهنا نعيد ما سبق من نصائح قلم الصحة في الجيش الامريكي عندما اكل بعض الجنود نباتات سامة او مخدرة فقالوا لهم كلوا مما تأكله الحمير من النبات فانها تعرف ما يضر وما ينفع اكثر منكم فالحمير اشد تميزاً في النباتات النافعة والضارة من جنود اميركا المتعلمة . (٢) يأخذ ماء البحر بمنقاره فيدفعه في شرجه عندما يصيبه امساك فيعمل حقنة شرجية بماء البحر ، لينجو مـــن الامساك ومنه تعلم الانسان الحقنة الشرجية .

واشباه هذا كثير

ولعلك تشكك في هذا النبات النابت في الصحارى والبراري حيث لا انس ولا انيس فتظن انه فضل لا حاجة اليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وحبه علف الطير وعوده وافنانه حطب فيستعمله الناس وفيه بعد اشياء تعالج بها الابدان واخرى تدبغ بها الجلود واخرى تصبغ الامتعة واشباه هذا من المصالح .

الست تعلم ان اخس النبات وأحقره هذه البردى او ما اشبهها ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتخذ من البردى القراطيس التي يحتاج اليها السوقة والحصر التي يستعملها كل صنف من الناس ويعمل منه العلف التي يؤتى بها الاواني وتجعل حشوا بين الظروف في الاسفاط لكيلا تتعيب وتنكسر واشباه هذا من المنافع فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما لا قيمة له

واخس من هذا واحقر الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الحساسة والنجاسة معا وموقعها من الزروع والبقول والخضر اجمع الموقع الذي لا يعدله شيء حتى ان كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو الا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه[1]

---

(١) وفي القرى والارياف يجمع ويحافظ عليه ليكون سماداً لزروعهم وفي المدن يجمع مع الاقذار الاخرى والدماء في المجازر ويجفف ويباع لأهل البساتين والجنات والزروع .

واعلم انه ليس منزلة الشيء على اخس قيمته بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكسب نفيساً في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته فلو فطن طالبوا الكمياء لما في العذرة لاشتروها بانفس الاثمان وغالوا (١) بها

قال المفضل وحان وقت الزوال فقام مولاي الى الصلاة وقال بكرا لي غدا ان شاء الله تعالى فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما آتانيه حامداً لله على ما منحنيه فبت ليلتي مسروراً

(المجلس الرابع)

قال المفضل ولما كان اليوم الرابع بكرت الى مولاي فاستؤذن لي فأمرني بالجلوس فجلست .

فقال عليه السلام منا التحميد والتسبيح والتعظيم والتقديس للاسم الاقدس والنور الاعظم العلي العلام ذي الجلال والاكرام ومنشيء الأنام ومغنى العوالم والدهور وصاحب السر المستور والغيب المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون ، وصلواته وبركاته على مبلغ وحيه ومؤدي رسالته الذي بعثه الله بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيرا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة فعليه وعلى آله من باريه الصلوات

---

(١) والآن يحلل البراز والبول الآدمي ليعلم ما في البدن من امراض الديزنتاريا الاميبيه والسكر والزلال والاملاح .

الطيبات والتحيات والزاكيات الناميات وعليه وعليهم السلام والرحمة والبركات في الماضين والغابرين أبد الآبدين ودهر الداهرين وهم اهله ومستحقوه .

قد شرحت لك يا مفضل من الأدلة على الخلق والشواهد على الصواب والتدبير والعمد في الانسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك ما فيه عبرة لمن اعتبر وانا اشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الازمان التي اتخذها أناس من الجهال ذريعة الى جحود الخلق والخالق والعمد[1] والتدبير وما انكرت المعطلة والمباينة[2] من المكاره ومن المصائب وما قاله اصحاب الطبايع ومن زعم ان كون الاشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول في الرد عليهم قاتلهم الله اني يؤفكون .

اتخذ اناس من الجهال هذه الأفات الحادثة في بعض الازمان كمثل الوباء واليرقان ذريعة الى جحود الخالق والتدبير والخلق (فيقال) في جواب ذلك انه اذا لم يكن خالق ومدبر فلم لا يكون ما هو اكثر من هذا وافظع فمن ذلك ان تسقط السماء على الارض وتهوى الارض فتذهب سفلاً[3] وتتخلف الشمس عن

---

(١) العلم والحكمة . (٢) كانهم المانوية القائلون بآله للنور والخير، وآخر للظلام والشر . (٣) اذا افلتت من جاذبية الارض ذهبت في الفضاء الفسيح في درجة من البرد هي الصفر المطلق اي (٢٨٢) ٥ تحت الصفر العادي صفر الثلج فاذا يبقى فيها من حياة بعد ذلك واذا قويت جاذبية الشمس زادت على مقاومة حركتها جذبتها الشمس اليها فتحولت الى اتون الشمس الى غازات لان حرارة سطح الشمس تبلغ ستة آلاف درجة مئوية .

الطلوع اصلا وتجف الانهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفة وتركد الريح حتى تخم الاشياء وتفسد ويفيض ماء البحر على الارض فيغرقها ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراد وما اشبه ذلك ما بالها لا تدوم ولا تمتد حتى تجتاح كل ما في العالم بل تحدث في الاحايين ثم لا تلبث أن ترفع أفلا ترى ان العالم يصان ويحفظ من تلك الاحداث الجليلة التي لو حدث عليها شيء منها كان فيه بوارع ويلذع أحياناً بهذه الافات اليسيرة لتأديب الناس وتقويمهم ثم لا تدوم هذه الافات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فيكون وقوعها هماً وكشفها عنهم رحمة[1].

وقد انكرت المباينة من المكاره والمصايب التي تصب بحدوثها تقول ان كان للعالم خالق رؤوف رحيم فلم يحدث فيه هذه الامور المكروهة والقايل بهذا القول يذهب الى انه ينبغي ان يكون عيش الانسان في هذه الدنيا صافياً من كل كدر ولو كان هكذا كان الانسان يخرج من الاشر والعتو الى ما لا يصلح في دين ولا دنيا كالذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والامن يخرجون اليه حتى ان احدهم ينسى انه بشر وانه مربوب أو أن ضرراً يمسه او انه مكروهاً ان ينزل

---

(١) (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا) (ولويآخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يأخرهم الى اجل مسمى) (وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير).

به او انه يجب عليه ان يرحم ضعيفاً او يواسي فقيراً او يرثى لمبتلى او يتحنن على ضعيف او يتعطف على مكروب فاذا عضته المكاره ووجد مضضها تيقظ وأبصر كثيراً مما كان جهله وغفل عنه ورجع الى كثير مما كان يجب عليه[1].

والمنكرون لهذه الامور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمون الادوية المرة البشعة ويسخطون من المنع من الضارة ويتكرهون الادب والعمل ويحبون ان يتفرغوا للهو والبطالة وتناول كل مطعم ومشرب ولا يعرفون ما تؤديهم اليه البطالة من سوء النشو والعادة وما تعقبهم الاطعمة اللذيذة الضارة من الادواء والاسقام وما لهم في الادب من الصلاح وفي الادوية من المنفعة وان شاب ذلك بعض الكراهة .

فان قالوا ولم لم يكن الانسان معصوما من المساوىء حتى لا يحتاج ان تلذعه هذه المكاره (قيل) اذن كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها ولا مستحقا للثواب عليها (فان قالوا) وما كان يضره ان لا يكون محموداً على الحسنات مستحقا للثواب بعد ان يصير الى غاية النعيم واللذات (قيل) لهم اعرضوا على امرىء صحيح الجسم والعقل ان يجلس منعما ويكفي كل ما يحتاج اليه بلا مسعى ولا استحقاق فانظروا هل تقبل نفسه

---

(١) والارض والسماء تضج وتعج من سوء فعل هؤلاء المجرمين من زنا وقمار وخمر وفساد في الارض وظهورهم في امة علامة هلاكها . (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً .)

ذلك بل تجدونه بالقليل مما يناله بالسعي والحركة أشد اغتباطاً وسروراً منه بالكثير مما يناله بغير الاستحقاق وكذلك نعيم الآخرة أيضاً يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه والاستحقاق له فالنعمة على الانسان في هذا الباب مضاعفة فان أعدله الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا وجعل له السبيل الى أن ينال ذلك بسعي واستحقاق فيكمل له السرور والاغتباط بما يناله منه

فان قالوا أوليس قد يكون من الناس من يركن الى ما نال من خير وان كان لا يستحقه فما الحجة في منع من رضي ان ينال نعيم الآخرة على هذه الجهة (قيل) لهم ان هذا باب لو صح للناس لخرجوا الى غاية الكلبة[1] والضراوة على الفواحش وانتهاك المحارم فمن كان يكف عن فاحشة أو يتحمل المشقة الى باب من ابواب البر لو وثق بانه صاير الى النعيم لا محالة او من كان يأمن على نفسه واهله وماله من الناس لو لم يخافوا الحساب والعقاب فكان ضرر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة فيكون في ذلك تعطيل العدل والحكمة معا وموضع للطعن على التدبير بخلاف الصواب ووضع الامور في غير مواضعها وقد يتعلق هؤلاء بالآفات التي تصيب الناس فتعم البر والفاجر وتبتلي البر ويسلم الفاجر منها فقالوا كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم وما الحجة فيه (فيقال) لهم ان هذه الآفات احيانا وان كانت تنال الصالح والطالح جميعاً فان الله عز وجل جعل ذلك صلاحا

---

(١) التكالب

للصنفين كليهما أما الصالحون فان الذي يصيبهم من هذا يذكرهم نعم ربهم في سالف أيامهم . فيحدوهم ذلك على الشكر والصبر واما الطالحون فان مثل هذا اذا نالهم كسر شرتهم وروعهم عن المعاصي والفواحش وكذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحاً في ذلك أما الأبرار فانهم يغتبطون بما هم عليه من البر والصلاح ويزدادون فيه رغبة وبصيرة واما الفجار فانهم يعرفون ما بهم من رأفة ربهم وتطوله عليهم بالسلامة من غير استحقاق فيحضهم ذلك على الرأفة بالناس والصفح عمن أساء اليهم

ولعل قائلا يقول ان هذه الآفات التي تصيب الناس في أموالهم فما قولك فيما يتبلون به في أبدانهم فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق والغرق والسيل والخسف (فيقال) له ان الله جعل في هذا صلاحا للصنفين جميعاً اما الابرار فلما لهم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها والنجاة من مكارهها ، واما الفجار فلما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم وحبسهم عن الازدياد منها

وجملة القول ان الخالق تعالى ذكره بحكمته وقدرته قد يصرف هذه الامور كلها الى الخير والمنفعة كما انه اذا قطعت الريح شجرة او قطعت نخلة اخذها الصانع واستعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم وأموالهم فيصيرها جميعاً الى الخير والمنفعة فان قال ولم تحدث على الناس قيل له لكيلا يركنوا الى المعاصي من طول السلامة فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي ويفتر الصالح

عن الاجتهاد في البر فان هذين الأمرين جميعاً يغلبان على الناس في حال الخفض والدعة وهذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم وتنبههم على ما فيه رشدهم فلو خلوا منها لعلوا في الطغيان والمعصية كما علا الناس في اول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم ومما ينتقده الجاحدون للعمد والتقدير الموت والفناء فانهم يذهبون الى انه ينبغي ان يكون الناس مخلدين في هذه الدنيا مبرئين من الآفات فينبغي ان يساق هذا الامر الى غاية فينظر ما محصوله

افرأيت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون ولا يموت احد منهم الم تكن الارض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب وتسفك فيهم الدماء فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون وكان يغلب عليهم الحرص والشره وقساوة القلوب ولو وثقوا بانهم لا يموتون لما دفع الواحد منهم شيئاً يناله ولا أفرج لاحد عن شيء يسأله ولا يسأل عن شيء ما يحدث عليه ثم كانوا يملون الحياة وكل شيء من امور الدنيا كما قد يمل الحياة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا .

فان قالوا انه كان ينبغي انه يرفع عنهم المكاره والاوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا اليه فقد وصفنا ما كان يخرجهم اليه من العتو والاشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا والدين وان قالوا انه كان ينبغي ان لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعايش (قيل) لهم اذن كان يحرم اكثر هذا

الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله تعـــالى ومواهبه في الدارين جميعاً اذا لم يدخل العالم الا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون .

فان قالوا انه كان ينبغي ان يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق الى انقضاء العالم يقال لهم رجع الامر الى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعايش عنهم ثم لوكانوا لا يتوالدون ولا يتناســـلون لذهب موضع الانس بالقرابات وذوي الارحام والانتصار بهم عند الشدايد وموضع تربيـــة الاولاد والسرور بهم ففي هذا دليل على ان كل ما تذهب اليه الاوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ وسفه من الرأي والقول.

ولعل طاعنا يطعن على التدبير من جهـــة فيقول كيف يكون ههنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا صنف عزيز فالقوي يظلم ويغضب والضعيف يظلم ويسام الخسف ، والصالح فقير مبتلى والفاسق معافى موسع عليه ومن ركب فاحشة أو انتهك محرماً لم يعاجل بالعقوبة فلو كان في العالم تدبير لجرت الامور على القياس القائم وكان الصالح هو المرزوق والطالـح هو المحروم وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف والمنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبة فيقال في جواب ذلك ان هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذي فضل به الانسان على غيره من الخلق وحمل نفسه على البر والعمل الصالح احتساباً وثقة بما وعد الله به والناس بمنزلة الدواب تساس بالعصا والعلف ويلمع لها كل واحد منها ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ولم يكن احد يعمل

على يقين بثواب او عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الانسية الى حد البهائم ثم لا تعرف ما غاب ولا تعمل الا على الحاضر من نعيم الدنيا ، وكان يحدث من هذا ايضاً ان يكون العامل الصالح انما يعمل للرزق والسعة في هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش انما يكف عن ذلك لترقب عقوبة تنزل به من ساعته حتى تكون افعال الناس كلها تجري على الحاضر لا يشوبه شيء من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها مع ان هذه الامور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقر والعافية والبلاء ليست بجارية خلاف قياس بل قد تجري على ذلك احياناً وللامر المفهوم فقد ترى كثيراً من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير وكيلا يسبق الى قلوب الناس ان الكفار هم المرزقون والابرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح[1] وترى كثيراً من الفساق يعالجون بالعقوبة اذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم كما عوجل فرعون بالغرق ويختنصر بالتيه فان أمهل بعض الاشرار بالعقوبة وأخر بعض الأخيار بالثواب الى الدار الآخره لاسباب تخفى على العباد لم يكن هذا يبطل التدبير فان مثل هذا قد يكون من ملوك الارض ولا يبطل

---

(١) ولولا ان يكون الناس امة واحدة - اي في الكفر - لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابواباً وسروراً عليها يتكئون وزخرفاً وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين .

تدبيرهم بل يكون تأخيرهم ما أخروه وتعجيلهم ما عجلوه داخلا في صواب الرأي والتدبير واذا كانت الشواهد تشهد وقياسهم يوجب ان للاشياء خالقاً حكيما قادراً فما يمنعه ان يدبر خلقه فانه لا يصلح في قياسهم ان يكون الصانع يهمل صنعه الا باحدى ثلاث خلال اما عجز ، واما جهل ، واما سرادة [1] وكل هذا محال في صنعه عز وجل وتعالى ذكره وكذلك ان العاجز لا يستطيع ان يأتي بهذه الخلايق الجليلة العجيبة والجاهل لا يهتدي لما فيها من الصواب والحكمة ولا يتطاول لخلقها وانشائها واذا كان هذا هكذا وجب ان يكون الخالق لهذه الخلائق يدبرها لا محالة وان كان لا يدرك كنه ذلك التدبير ومخارجه فان كثيراً من تدبير الملوك لا تفهمه العامة ولا تعرف دخلة الملوك وأمر الملوك واسرارهم فاذا عرف سببه وجد قايماً على الصواب والشاهد والمحنة لو شككت في بعض الأدوية ، ولأطعمة فتبين لك من جهتين او ثلاث انه حار او بارد لم تكن تقضي عليه بذلك وتنفي الشك فيه عن نفسك ، فما بال هؤلاء الجهلة لا يقضون على العالم بالخلق والتدبير مع هذه الشواهد الكثيرة واكثر منها ما لا يحصى كثرة .

ولو كان نصف العالم وما فيه مشكلا صوابه لما كان من حزم الرأي وسمة الادب ان يقضي على العالم بالاهمال لانه كان في النصف الآخر ما يظهر فيه من الصواب واتقان ما يردع الوهم

---

(١) لعله يعني سفاهة وعبثا .

عن التسرع الى هذه القضية فكيف وكلها فيه اذا فتش وجد على غاية الصواب حتى لا يخطر بالبال شيء الا وجد ما عليه الخلقة اصح واصوب منه .

واعلم يا مفضل ان اسم هذا بلسان اليونانية الجاري المعروف عندهم فرسموسي[1] وتفسيره الزينة وكذلك سمته الفلاسفة ومن ادعى الحكمة وكانوا يسمونه بهذا لما رأوا فيه من التقدير والنظام فلم يرضوا ان يسموه تقديراً ونظاماً حتى سموه زينة ليخبروا انه مع ما هو عليه من الصواب والاتقان على غاية الحسن والبهاء .

اعجب يا مفضل من قوم لا يقضون على صناعة الطب بالخطأ وهم يرون الطبيب يخطيء ويقضون على العالم بالاهمال ولا يرون شيئاً منه مهملاً .

بل اعجب ممن ادعى الحكمة حتى جهلوا مواضعها في الخلق فأرسلوا السنتهم بالذم للخالق جل وعلا بل العجب من المخذول حين ادعى الاسرار وعمى عن دلائل الحكمة في الخلق حتى نسبه الى الخطأ ونسب خالقه الى الجهل تبارك الحكيم الكريم ، واعجب منهم جميعاً المعطلة[2] الذين راموا ان يدرك

---

(١) ويسمون الان بالدهريين لقول الله فيهم (وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر) . (٢) الماديون الذين ينكرون عالم الغيب ولا يعترفون الا بالمحسوسات ، اما العالم الروحاني عندهم فخرافة وقد وضع بعضهم في ذلك كتاباً سماه خرافة الميتافيزقيا وقد رد عليهم في ذلك عقلاء البشر ومن احدث ذلك كتاب الكون الغامض للعالم الطبيعي الفلكي الانجليزي (جيفز) صاحب كتاب النجوم في مسالك وكذلك رد عليهم عالم امريكي رئيس الاكادمية العلمية بنيويورك في كتاب سماه الانسان القديم لا يقوم بنفسه وعرب باسم العلم يدعو الايمان .

بالحس ما لا يدرك الا بالعقل فلمـــا اعوزهم ذلك خرجوا الى الجحود والتكذيب .

فان قالوا ولم لا يدرك بالعقل قيل لانه فوق مرتبة العقل كما لا يدرك البصر ما هو فوق مرتبته فانك لو رايت حجراً يرتفع في الهواء علمت أن رامياً رمى به فليس هذا العلم من قبل البصر لان العقل هو الذي يميزه فيعلم أن الحجر لا يـذهب علواً من تلقاء نفسه أفلا ترى كيف وقف البصر على حده فلم يتجـاوزه فكذلك يقف العقل على حده من معرفة الخالق فلا يعدوه ولكن يعقله بعقل اقرمنه نفساً ولم يعانها ولم يدركها بحاسة من الحواس وعلى حسب هذا ايضاً نقول ان العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الاقرار ولا يعرفه بما يوجب له الاحاطة بصفته

فان قالوا فكيف يكلف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللطيف ولا يحيط به قيل لهم انما كلف العباد من ذلك ما في طاقتهم أن يبلغوه وهو ان يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه ولم يكلفوا الاحاطة بصفته كما ان الملك لا يكلف رعيته ان يعلموا أطويل هو ام قصير وأبيض هو ام اسمر وانما يكلفهم الاذعان والانتهاء الى امره

الا ترى ان رجلا لو أتى باب الملك فقال: اعرض علي نفسك حتى اقضي معرفتك والا لم اسمع لك كان قد احل نفسه بالعقوبة فكذا القـائل انه لا يقر بالخالق سبحانه حتى يحيط بكنهه متعرض لسخطه .

فان قالوا اوليس قد نصفه فنقول هو العزيز الحكيم (قيل) لهم كل هذه الصفات اقرار وليست صفات احاطة فانا نعلم انه حكيم ولا نعلم بكنه ذلك منه وكذلك توجد اشياء لا نعرف كنهها كما قد نرى السماء فلا ندري ما جوهرها ونرى البحر ولا ندري اين منتهاه بل هو فوق هذا المثال بمالا نهاية له ولان الامثال كلها تقصر عنه لكنها تقود العقل الى معرفته .

فان قالوا ولم يختلف فيه ؟ قيل لهم لقصر الاوهام عن أمد عظمته وتعديها اقدارها في طلب معرفته وانها تروم الاحاطة به وهي تعجز عن ذلك فيما دونه فمن ذلك هـــذه الشمس الذي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة امرهـــا [1] ولذلك كثرت الاقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقـال بعضهم جرم اجوف مملوء ناراً له فم يجي بهـــذا الوهج والشعاع وقال آخرون هو جسم زجاجي يقل نارية في العـالم ويرسل عليه شعاعها وقـال آخرون هو اجزاء كثيرة مجتمعة من النار وقال آخرون هو صفو لطيف ينعقد من مـاء البحر وقال آخرون هو من جوهر خامس سوى الجواهر الاربعة [2]

---

(١) كان ذلك مبلغ العلم حينئذ والآن قد عرف الشيء الكثير عن الشمس من حجمها وبعدها عنا وقدر الحرارة على سطحها وباطنها والكثير من عناصرها والمثل الذي يضرب الآن هو الكهرباء التي انتفع الناس بها وسخروها في مصالحهم وهم لا يعرفون من حقيقتها الا انها سالباً وموجباً اما حقيقتا فهي مجهولة لديهم.

(٢) وتحليل الطيف كشف عن عناصرها وانها من نوع عناصر الارض فيها الحديد والنحاس والرصاص الخ.. ولكنها في حالة غازية من شدة الحرارة .

ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم هي بمنزلة عسلية عريضة وقال آخرون بل هي اعظم كالكره المدحرجة وكذلك اختلفو في مقدارها فزعم بعضهم انها مثل الارض سواء وقال آخرون بل هي اقل من ذلك وقال آخرون بل هي اعظم من الجزيرة العظيمة وقال اصحاب الهندسة هي اضعاف الارض مائة وسبعين[1] مرة ففي اختلاف هذه الاقاويل منهم في الشمس دليل على انهم لم يقفوا على الحقيقة من امرها فاذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر ويدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف مالطف عن الحس واستتر عن الوهم[2]

فان قالوا ولم استتر (قيل) لهم لم يستتر بحيلة يخلص اليها كمن يحتجب من الناس بالأبواب والستور وانما معنى قولنا استتر انه لطف عن مدى ما تبلغه الاوهام كما لطفت النفس وهي خلق من خلقه وارتفعت عن ادراكها بالنظر .

فان قالوا ولم لطف تعالى عن ذلك علواً كبيراً كان ذلك خطأ من القول لأنه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء الا ان يكون مبايناً لكل شيء متعالياً عن كل شيء سبحانه وتعالى.

---

(١) بل هي تساوي مليون وربع مليون من مثل الارض .

(٢) اي كعالم الغيب من الملائكة والجن بله ذات العلي الاعلى الذي يدرك الابصار ولا تدركه الابصار وهو اللطيف الخبير (ولا يحيطون به علماً) (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد).

فان قالوا كيف يعقل ان يكون مبايناً لكل شيء متعالياً (قيل) لهم الحق الذي نطلب معرفته من الاشياء هو اربعة اوجه (فاولها) ان ينظر موجود هو أم ليس بموجود (والثاني) ان يعرف ما هو في ذاته وجوهره (والثالث) ان يعرف كيف هو وما صفته (والرابع) ان يعلم لماذا هو ولأية علة فليس من هذه الوجوه شيء يمكن للمخلوق ان يعرفه من الخالق حق معرفته غير أنه موجود فقط فاذا قلنا وكيف وما هو فممتنع علم كنهه وكمال المعرفة به ، وأما لماذا هو فساقط في صفة الخالق لأنه جل شأنه علة كل شيء وليس شيء بعلة له ثم ليس علم الانسان بانه موجود يوجب له أن يعلم ما هو وكيف هو كما ان علمه بوجود الانفس لا يوجب ان يعلم ما هي وكيف هي وكذلك الامور الروحانية اللطيفة .

فان قالوا فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفاً حتى كانه غير معلوم (قيل) لهم هو كذلك من جهة اذا رام العقل معرفة كنهه والاحاطة به وهو من جهة اخرى اقرب من كل قريب اذا استدل عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى على احد وهو من جهة كالغامض[1] لا يدركه احد .

وكذلك العقل ايضاً ظاهر بشواهد ومستور بذاته .

(فاما اصحاب الطبايع) فقالوا ان الطبيعة لا تفعل شيئاً

---

(١) (هو الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم).

لغير معنى ولا تفعل الا لصلاحية تمام الشيء في طبيعته وزعموا ان الحكمة تشهد بذلك (فقيل) لهم فمن اعطى الطبيعة هذه الحكمة والوقوف على حدود الاشياء بلا مجاوزة لها وهذا تعجز عنه العقول بعد طول التجارب

فان اوجبوا للطبيعة الحكم والقدرة على مثل هذه الأفعال فقد أقروا بما انكروا لان هذه هي صفة الخالق وان انكروا ان يكون هذا للطبيعة فهذا وجـــه الحق (١) يهتف بان الفعل للخالق الحكيم وقد كان من القدماء طائفة أنكروا العمد والتدبير في الأشياء وزعموا ان كونها بالعرض والاتفاق وكان مما احتجوا به هذه الآيات التي تكون على غير مجرى العرف والعـــادة كالانسان يولد ناقصاً او زايداً اصبعاً او يكون الولد مشوهـاً مبدل الخلق فجعلوا هذا دليلا على ان كون الاشياء ليس بعمد وتقدير بل بالعرض كيف مـــا اتفق ان يكون وقد كان ارسطاطاليس رد عليهم فقال ان الذي يكون بالعرض والاتفاق انما هو شيء يأتي في الفرط مرة لاعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها وليس بمنزلة مصور الطبيعة على شكل واحد جرياً دائماً متتابعاً .

وانت يا مفضل ترى اصناف الحيوان تجري اكثر ذلك على مثال ومنهاج واحد كالانسان يولد وله يدان ورجلان وخمس اصابع كما عليه الجمهور من الناس فاما ما يولد على خلاف ذلك

---

(١) لعله الحق .

فأنه لعلة تكون في الرحم او في المادة التي ينشأ منها الجنين كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صنعته فيعوق عن ذلك عائق في الاداة او في الالة التي يعمل فيها الشيء فقد يحدث مثل ذلك في اولاد الحيوان للاسباب التي وصفنا فيأتي الولد زايداً او ناقصاً او مشوهاً ويسلم اكثرها فيأتي سوياً لا علة فيه فكما ان الذي يحدث في بعض الاعراض لعلة فيه لا يوجب عليها جميعاً بالعرض والاتفاق .

وقول من قال في الاشياء ان كونها بالعرض والاتفاق من قبل ان شيئاً منها يأتي على خلاف الطبيعة يعرض له خطأ او خطل . فان قالوا ولم صار مثل هذا يحدث في الاشياء (قيل) لهم ليعلم انه ليس كون الاشياء باضطرار من الطبيعة ولا يمكن ان يكون سواء كما قال بل هو تقدير وعمل من خالق حكيم اذ جعل الطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى ومنهاج معروف وتزول احياناً عن ذلك لاعراض تعرض لها فيستدل بذلك على انها مصرفة مدبرة الى ابداء الخالق وقدرته ببلوغ غايتها واتمام عملها (تبارك الله احسن الخالقين) .

يا مفضل خذ ما اتيتك واحفظ ما منحتك وكن لربك من الشاكرين ولآلائه من الحامدين ولاوليائه من الطائعين فقد شرحت لك من الادلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمل قليلا من كثير .

اجتنب من كل فتنة وذكر فيه واعتبر به بمعرفتك .

فقلت يامولاي اقر على ذلك وابلغه ان شاء الله فوضع يده على صدري فقال احفظ بمشيئة الله ولا تنس ان شاء الله فخررت مغشياً فلما افقت قال كيف ترى نفسك يا مفضل فقلت قد استغنيت بمعونة مولاي وتأييده عن الكتاب الذي كتبته وصار ذلك بين يدي كانما اقرأه من كفى فلمولاي الحمد والشكر كما هو اهله ومستحقه .

فقال يا مفضل فرغ قلبك واجمع ذهنك وطمأنينتك فسألقي اليك من ملكوت السموات والارض وما خلق الله بينهما وفيهما من عجائب خلقه وأصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم الى سدرة المنتهى وسائر الخلق من الجن والانس الى الارض السابعة السفلى وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزاء .

انصرف اذا شئت مصاحباً مكلوءاً فأنت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى (١) ولا تسألني عما وعدتك حتى احدث لك منه ذكراً .

قال مفضل فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف احد بمثله وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

---

(١) العطشان .

ضوء جديد على تلك المصانع والمخازن التي يتألف منها هيكلنا العظمي ، والطرق الجديدة الرائعة التي تستخدم في جبر عظامه .

عظامنا في نشاط مستمر

•

ربما يتبادر الى اذهاننا ان عظامنا لاحياة فيها ولانشاط وانها مجرد دعامة صلبة لاجسامنا . ولكنها في الواقع من اكثر اعضاء الجسم حيوية وعملا . فهي بمثابة مصنع لانتاج كرات الدم الحمراء والبيضاء طوال الوقت بلا انقطاع ، اذ تموت في كل دقيقة حوالي مائة وثمانين مليونا من كرات الدم الحمراء ، فعلى عظامك يقع عبء تعويضها بكرات جديدة . ويستغرق نخاع العظام مدة تتراوح بين ستة وثمانية اسابيع ليعوض الجسم بكرات الدم الحمراء التي يفقدها من فصد لتر من الدم .

وللعظام وظائف مهمة اخرى ، فهي التي تنتج كرات الدم البيضاء التي تتصدى لجراثيم العدوى لتهلكها ، كما تعد مخزنا لحفظ المواد الغذائية المدخرة في الجسم ، فيحفظ نخاع العظام الدهون والبروتينات لحين الحاجة . كما . تحتوي العظام على كل

مـــا يحتويه الجسم تقريباً من مادتي الفوسفور والكالسيوم الحيويتين ، فمادة الكالسيوم ضرورية في المساعدة على انتظام ضربات القلب وتقلص العضلات واداء الجهـــاز العصبي لعمله . وبطريقة آلية معقـدة يرسب في العظام الكالسيوم الموجود في اللبن الذي نشربه اليوم ، ويسحب الكالسيوم الذي رسب في الاسبوع او العام الماضي .

وقد امكن اخيراً ، بعـــد الاستعانة بالنظائر المشعة ، كشف الكثير من خبايا ذلك النشاط الدائم في داخل عظامنا ، كما امكن استخدام وسائل ناجعة في جبر العظام المكسورة .

ويحتوي جسم الانسان على مـــا يقرب من مائتين وست قطع عظمية . ويتفاوت هذا العدد زيادة او قلة في حدود ضيقة . مثال ذلك ان العمود الفقري للطفل يتكون من ثلاث وثلاثين فقرة . اما في حالة الشخص البالغ فتلتحم الفقرات السفلى مكونة عظمتي العجز والعصعص ، وبذلك يكون عدد الفقرات المتبقية ستا وعشرين فقرة .

ويظهر ايضاً بجلاء التفاوت في عدد القطع العظمية بين شخص وآخر في الضلوع ، فالقاعدة العامة ان الضلوع في جسم الانسان اثنا عشر زوجا . ولكننا نجد العدد يقل عنـــد كثير من الافراد الى احد عشر زوجا او يزيد الى ثلاثة عشر زوجا .

ويعد الهيكل العظمي تحفة هندسية بلغت حـد الكمال في تشكيل كل جزء منه ، بحيث يؤهل لاداء وظيفة معينة خير

اداء . فالمخ تحميه الجمجمة التي تزداد صلابة وسمكا في الموضع الذي يكون اكثر عرضة للخطر مثل اليافوخ .

والحبل الشوكي الذي يعد مركزاً للاعصاب بالغ الحساسية والاهمية لحياة الجسم ، تقوم الفقرات بحمايته . ولذا نرى ان العمود الفقري يحتوي على وسائد حلقية غضروفية ، بين الفقرة والاخرى ، تساعد خاصيتها المرنة على امتصاص الصدمات لتمنع سريانها الى الحبل الشوكي .

اما عظام الارجل فهي جوفاء ، وهي في ذلك تساير النظرية الهندسية القائلة ، بأن العمود الاجوف اقوى من العمود الاصم الذي يساويه وزنا . وتعد العظام اقوى من الصلب اذا قارنا وزنين متعادلين من كليهما ، كما تقف مع الخرسانة المسلحة على قدم المساواة من حيث المتانة .

والعظام نوعان : اسفنجي وصلب ، وتحتوي اية قطعة عظمية على النوعين معاً ، فعظمة الضلع تتكون من طبقة خارجية من العظام الصلدة ، تليها من الداخل طبقة اخرى من العظام الاسفنجية ، تحمل بين فجواتها انسجة النخاع الرقيقة وكذا الاعصاب والاوعية الدموية .

وتنمو العظام باضافة مكونات عظمية جديدة الى العظام الاصلية . وفي حالة حدوث كسر تنمو العظام عند طرفي الكسر ، ويستمر النمو مكونا في كلا الطرفين مواد عظمية حتى يتلاقيا بطريقة سحرية خفية تدعو الى العجب . وهي تشبه عملية وصل جانبي هوة بجسر من الحبال . ويتم النمو في العظام

بتكلس خلايا النسيج وتصلبها ثم تحولها في النهاية الى عظام حقيقية .

والى عهد قريب ، كانت اصابات العظام تعد في منتهى الخطورة . فكانت الجبائر عند المسنين بمثابة كفن من الجبس لا خلاص منه . وكان لبقاء الاطفال شهوراً في الفراش حتى تلتئم عظامهم اثره السيء في الاضرار بشخصيتهم اضراراً دائماً . ولكن التقدم الحديث في تقويم العظام ساعد كثيراً على تخفيف حدة الضرر في مثل هذه الاحوال .

وكان « الترقيع » من بين التطورات الاولى في تقدم جبر العظام المكسورة ، فثبتت رقعة من عظام البقر فوق موضع الكسر بواسطة مسامير مصنوعة من عظام البقر ايضاً . وبمرور الوقت امتص الجسم العظام المضافة اليه . وكان وجه النقص الوحيد في هذه الطريقة ان نجاحها قد قصر على العظام الثانوية من حيث الوظيفة ، في الوقت الذي كان فيه الترقيع بعظام البقر اضعف من ان يتيح لشخص مكسور الساق ان ينهض ويمشي .

ودار البحث عن مواد افضل تتوافر لها القوة مع عدم التأثر بسوائل الجسم او التأثير فيه ، وتكون هينة يستطيع الجسم ان يحتملها بسهولة ، فتوصلوا الى اختيار بعض السبائك المعدنية الخاصة ، ومن بينها انواع قليلة من الصلب الملغم . فلهذه المواد من القوة ما يسمح باستخدام الساق المكسورة في الحال . وكثيراً ما يمكن تركها في الجسم بلا ضرر ..

ومن ابرز التطورات في هذا المضمار ما أجري بألمانيا ابان

الحرب العالمية الثانية على يد الدكتور « جرهارد كنتشر » وسمى « بالتجبير الداخلي » وان اجراء هذه العملية لشخص كسر عظم فخذه لقريب من المعجزة . وقد جرت العادة على ان يظل المصاب بكسر في عظمة الفخذ ستة اشهو ملازما الفراش مع تجبير الفخذ ووضعها في قالب من الجبس . وكثيراً ما يبست المفاصل وضمرت العضلات ، واصيب المريض بعجز مزمن وقصور في الحركة تبعا لذلك . ويجري التجبير الداخلي بفتح الجزء العلوي من عظمة الفخذ ، ويفرغ تجويف النخاع ، ويولج فيه قضيب معدني مناسب من حيث الطول والسمك ودرجة التقوس . وبذلك يمكن للمصاب ان ينهض ويمشي في خلال اسابيع قليلة ، وبعد ان احرزت العملية نجاحها الاول في عظمة الفخذ جربت في حالات عظام الساق التي تليها ، وعظام الساعد ، بل وعلى عظام الانف والاصابع .

ثم جاء البحث بانتصار آخر . الا وهو علاج مفصل الفخذ المصاب بسبب مرض ، او المكسور من جراء سقوطه ، فمنذ عشر سنوات كان كسر هذا المفصل بمثابة حكم بالاعدام على الشخص المتقدم في السن .

ففي هذه الحالة يلزم المصاب الفراش لعدة شهور او سنين ، فيضعف نمو العظام وتضمر القديمة منها وتصبح هشة سهلة الكسر ، وغالباً ما ادت هذه الحال الى حدوث مضاعفات مثل الالتهاب الرئوي وغيره من الامراض الفتاكة .

وعلى يد الدكتور « م.ن . سميث بترسون » من جامعة هارفارد ، تم الوصول الى احدى الخطوات الاولى في سبيل علاج اصابات مفصل الفخذ . ففي معظم هذه الاحوال يحدث الكسر عند عنق عظمة الفخذ فينفصل رأسها مع التجويف المفصلي الاعلى عن باقي العظمة . فوضع الدكتور « بترسون » تصميم ابرة طويلة من الصلب الملغم تربط بين طرفي العظمة المكسورة وبذلك تمكن من علاج مئات المقعدين حيث امكنهم القيام والمشي مستعينين بالعصى او العكازات في خلال اسابيع من اجراء العملية .

وبعدها قام بتصميم غطاء نصف كروي يصنع من الصلب الملغم ، او من سبيكة معدنية اخرى ، ليغلف اعلى رأس عظمة الفخذ اذا ما اصيبت . وتساءل الطبيبان الفرنسيان « جان وتشارلز جوديه ». لماذا لا نجري عملية ابدال الرأس المصاب كله بقطعة من اللدائن ؟ ويمكن تثبيت هذا الرأس الصناعي بايلاج ساقه داخل عظمة الفخذ . وقرر هذان الطبيبان ان ثمانية في المائة من المصابين الذين اجريت عليهم هذه الطريقة تماثلوا للشفاء بالقدر الذي يمكنهم من العودة الى العمل .

وقد بدأت العظام تمثل دوراً حاسما في كثير من مواقف الحياة والموت . فكثيرا ما يكون استمرار الحياة متوقفا على حقن دم او سائل آخر ، وفي بعض الاحيان لا تساعد الاوردة على اجراء هذا النقل . ففي حالة الاطفال الضعاف حديثي

الولادة تكون الاوردة من الضآلة بحيث يصعب العثور عليها ، وفي حالة الحروق الخطيرة يحتمل انسدادها ، وقد تتقبض من الصدمات العنيفة ، وفي هذه الاحوال جميعها قد تكون الفرصة الوحيدة للابقاء على حياة فرد هي في نقل السائل المطلوب نقله الى شبكة الاوعية الدموية الدقيقة الموجودة في نخاع العظام . وكانت هناك عقبة تعترض اجراء هذه العملية الى وقت قريب ، وهذه العقبة هي ان ابر النقل التي كانت تغرس داخل العظام كثيرا ما سببت حدوث قروح ، كما ان شظايا العظام كانت تسبب انسدادها في بعض الاحيان .

اما اليوم فلم يعد هناك مجال لهذه العيوب بعد ان اخترع الدكتور « هنري تركل » ابرة بلغت حدا كبيرا من النجاح . وتتكون من ابرة جوفاء داخلها ابرة اصغر ذات طرف حاد قاطع ، فعند دفعها في العظمة تحدث ثقبا يسمح بمرور الابرة الخارجية حتى فجوة النخاع ويتم النقل . وتتم العملية بجملتها في وقت لا يزيد على دقيقتين . ففي « ديترويت » اجريت مائة وخمس وعشرون حالة نقل نجحت جميعها ما عدا واحدة . وفي « الدانيمرك » أجريت الف حالة فلم تحدث مضاعفات الا في خمس حالات وتقدمت طرق العلاج ، بحيث اصبح في الامكان تقويم المشوه من العظام (مثل تشوه القدم) بلا تدخل جراحي. وقريبا سيصبح من الميسور علاج حالات انحناء العمود الفقري والشلل وامراض النخاع واورام العظام وكثير من اصاباتها

بعد أن اماط البحث اللثام عن سر العظام .

وقد عم انتشار الابحاث الطبية في عصرنا الحـــالي فأزاح الستار للباحثين عن اسرار حيوية العظام بعد ان كانت تعد اشياء جامدة غير حية .

ملخصة عن مجلة توادیز هلث

ج . د . راتكليف

نقلت من المختار عدد اكتوبر سنة ١٩٥٦ من صفحة ٦٣ - ٦٨

انك لا تعرف انك اذ تنام ، يبدأ
عالم لا حصر له في الاستيقاظ والعمل.

مخلوقات الليل

•

اننا قليلا ما نفكر ونحن نستجم في منازلنا بعد ان يرخي الليل سدوله ، في ملايين من المخلوقات التي توجد خـــارج أبوابنا ، والتي لم تعد كل ليلة بالنسبة لها تحديا ومغامرة .

ان اكثر الساعات ازدحاما بالعمل في دنيا الطبيعة ، هي التي تقع بين غروب الشمس وشروقها . فعند الغسق ، تحلق الطيور التي تتناول طعامها نهـارا في الحقول المكشوفة ، لتمضي الليل فوق جذوع الاشجار في امان عظيم .

وفي الوقت نفسه تهجر طيور وحيوانات اخرى ملاذها في الادغال ، لترعى في الحقول وعلى ضفاف القنوات ، حيث تبدأ الغزلان والثعـالب الحمراء والظربان المخططة . والراقون ، في التحرك صوب العراء .

وفي خلال تلك الدقائق مـن وقت الشفق ، تسود اليقظة والنشاط كل فرد تقريبا .. ولكن في اثنـاء الارتباك الذي

يسود هـــذه المرحلة الانتقالية ، يقوم السالبون ذوو العيون السريعة باختطاف كثير من الوجبات .

فعلى طول حافة المياه ، يدس « الراقون » مخالبه الامامية التي تشبه اليد، ليتحسس طريقه الى جراد البحر ، ثم يقبض عليه تحت الماء كأنما ينظفه ، قبل ان يمزقه اربا ..

وحيث يغمر البوص والحشائش الميـاه القليلة الغور ، يميل البط ويغوص ليصل الى النبات الموجود في القـاع ، بينما يقف « مالك الحزين » وغيره من الطيور المائية كالحرس على استعداد لطعن اية سمكة عابرة .

ولحيوانات الليل ادراك خاص بالاماكن التي تجوس خلالها. وهو ادراك يقوم على اساس تعود استخدامها ، فهي تعلم ان هذه الشجرة عبارة عن ثلاث قفزات في اتجاه واحـد ، وتلك الفجوة اربع قفزات في اتجاه آخر واينما ذهبت في اراض معروفة لها ، فانها تظل تسترشد بحركاتها العضلية الخاصة : ست قفزات مع انحاءة الى اليسار، وثلاث اخرى والتفاتة مفاجئة الى اليمين. وبهذه الحركات الغريزية تهرع الى بر الامان !

وهناك مجموعة مدهشة من حيوانات النهار ، تعود الى نفس المكان الذي تنـام فيه كل ليلة . والحيوانات النائمة لا تتخذ لنفسها فراشا ، بل ان لكل منها غرفة مـن نوع ، فالنحلة الزفافة قد تجدها في زهرة نبات الحبيزة منـذ يوم تفتحها الى الى اليوم الذي تغلق فيه لآخر مرة ، والفراشة قد تختار نفس

المنطقة من البستان كملجأ تتشبث به، وهي تصل الى هناك عند الغسق كل يوم ، بعد ان تخترق الريف في رحلة تبدو انها على غير هدى.

وفي الحائط الحجري ، ترى عددا قليلا من الزنابير معلقا في وضع مقلوب من الجانب الاسفل للعش الذي تربي فيه صغارها، وقد يجد غيرها شقوقا اكثر امانا من الريح ، فترقد فيها ، وقد عقفت قرنهـــا ، وطوت ساقيها في استرخاء .. وبعضها يستريح على جانبه او ظهره ، حتى ليبدو انه ميت الى ان يعود الضوء ودفء النهار ليوقظه مرة اخرى .

وتستخدم الطيور عادة نفس المكان الذي تجثم فيه لتنام ، رغم انهـا تكون قـــد اقامت عشا متقنا في مكان آخر . فالعش ليس مسكنا للطير ولكنه جهاز لنفس البيض ودار للحضانة ، فاذا لم يكن هناك بيض للتفريخ او صغـــار تحتاج للحماية من الظلام القارس ، فان الطيور التي بنت العش تنام في أي مكان ، وعادة ما يكون جذوع الاشجار .

وعند الغروب ، تلف الطيور ذات الاحجام المختلفة اصابع اقدامها بقوة حول غصن او جذع شجرة ، اذ ان في كل فخذ عضلة تمتد اوتار قوية مـن الركبة الى ما حول العقب وتحت اصابع القدم . وللاستقرار اثناء الليل ، يجذب ثقل الجسم هذا الوتر بقوة ، فيكفل مسكة لا يمكن لاية ريح ان تخليهـا ، وحتى الموت لا يستطيع لها فكاكا .

ويبدو ان ساعـات الليل تستخدم للطيران ، لان الطيور

تحتاج الى ضوء النهار للطعام ، فتحط رحالها قبل الفجر لتستطيع ان تستجم وتطعم على التوالي حتى الغسق قبل ان تشرع في الرحيل مرة اخرى .

ومن ناحية اخرى فان الطيور آكلة الحشرات التي تطعم خلال الليل كالطائر « السهار » و « البروبل » تهاجر نهاراً ، بينما الخفافيش تطعم وتهاجر معاً خلال الليل ، فتقطع الرحلة على خطوات ، ليتيسح لها ذلك ان تأكل جيداً طوال الطريق .

وفي الظلام تبدأ انواع مختلفة من حياة الحشرات ونشاطها . وسيخيل لك انك تشترك في قصة بوليسية حية وانت تجلس في هدوء الظلام ، محاولا ان تتعرف الى شخصية كل شيء يتحرك . فالاطياف التي تخفق بجناحيها ، هي الفراشات النائمة في ضوء النهار ، وهي تطلق حفيفا ناعما بينما تحوم حول اغصان مزهرة ، حيث تقوم بمهمة الطيور الطنانة . فهي ترعى الزهور ، وتلقح انواعا عديدة تكون مقفلة عندما تنشط الطيور والنحل . وبعض الرائحة التي تجتذب الحشرات ، خلال الليل تنبعث من حشرات اخرى .

وهناك طريقة سهلة لاظهار هذا الاعتماد على الرائحة ، هي ان تضع اي شيء اي فراشة جميلة في قفص ، فانها مهما تفعل بجناحيها فسوف تطلق في هواء الليل اريجا معطرا بديعا يحس به الذكور من فصيلتها ، فيطيرون اليها بأعظم سرعة . وقد ثبت ان انواعا تحمل علامات معينة رحلت اكثر من ستة اميال

خلال الظلام . وهذه الظاهرة يمكن ان تتكرر في اي مكان . وفي الصباح الباكر يعثر احد ذكور الفراش على نافذة مفتوحة في منزل، حيث تكون انثى من نوعه قد خرجت من شرنقتها .

وبينما يزحف الظلام ، تعمل كثير من المخلوقات وكأنها تعرف كم ستبقى قبل ان يشرق النور .

ففي خلال الصباح المعتم ، وعندما تكون السماء صافية ، تبدأ طيور « الحن » رحلتها بمفردها قبل الفجر ، بينما تبدأ طيور « الدج » ذات الصدر الارقش طيرانها ، وتأخذ العصافير الزرقاء في الشدو والغناء .

وفي الوقت الذي يستقر فيه الغزال في ادغاله ، يكون الارنب راقدا في جحره ، والراقون والقنفد في اشجارهما المفضلة ، والقندس نائماً في قلعته المغطاة بالطين والقش .

وبينما تبدأ الشمس في الظهور، تغادر الطيور مجاثمها وتتلاشى اصواتها تماما كما نتوقف نحن عن الحديث عندما يبدأ تقديم الطعام وتشغل الطيور الصداحة بالاكل ، لتقطع صيام الليل الطويل ، جامعة الطعام لصغارها .

وفي وسط هذا التناسق الذي تفرضه الارض المتزنة ، يتوارى عالم الظلام وتذهب معه مخلوقات الليل ، لتخلى الطريق لمخلوقات النهار .

ملخصة عن « عالم الليل »

بقلم لوراس ومارجرين ميلن

قوى مخك لا حد لها

« اكتشافات جديدة مثيرة تساعدك على »
« التوصل الى المزيد مـــن الكفاية العقلية »

●

الآدمي من اعجب الاشياء في العـــالم تنظر اليه غالبيتنا كتركيب دقيق . وهـذه حقيقة ، ولكنه ايضاً قوي متين ، اداة تفوق كثرا في فائدتها عموم الظن بها .

وفيما يلي سبع حقائق مهمة — كشفت عنها بعض الابحاث الحديثة — تستطيع ان تساعدك عـــلى ان تزيد من الانتفاع بقوى مخك :

١ — ليس هناك ما يسمى « التعب العقلي » :

يتحدث الناس عادة عن « التعب العقلي » او « كلل المخ » لظنهم ان المجهود العقـــلي الطويل المركز يسبب تعبا في المخ نفسه ، ولكن اعتقاد العلماء هو ان هذه الحالة لا يمكن ان توجد ، فان مخـك لا يتشابه وعضلاتك وعملياته ليست عضلية في طبيعتها ، ولكنها « كهركيميائية » يمكن مقارنتها الى حد ما بالتيار المباشر في البطارية ذات الخلية المبللة .

وعندما يبدو مخك متعبا بعد ساعات من مجهود عقلي ، فانه يكاد يكون مؤكداً ان سبب التعب يكمن في اعضاء اخرى من الجسم : عينيك او عضلات رقبتك وظهرك . اما المخ نفسه فله القدرة على العمل اللانهائي على وجه التقريب .

وما يبدو انه اجهاد عقلي هو في الحقيقة مجرد ملل ، فمثلا عند قراءة كتاب صعب يتنازعك عاملان ، عامل الرغبة في الاستمرار في القراءة وعامل التفكير في التوقف عنها . وطبقا لما يقوله احد علماء النفس المعروفين « غالباً لا يكون التعب هو الذي تشعر به بل عدم الانتباه وعدم القدرة على تجاهل الافكار التي تسبب شرود الذهن » .

٢ – تكاد مقدرة المخ ان تكون غير قابلة للنفاد :

ذلك الركن من مخك الذي يعمل في التفكير والذاكرة وفي كل ما يتعلق بنشاطك الواعي تتكون اهم محتوياته من عشرة الى اثني عشر بليونا من الخلايا الصغيرة ولكل من هذه الخلايا مجموعة من الخيوط الدقيقة تتمكن بوساطتها الرسالة الكهركيميائية من الانتقال من خلية الى اخرى . ويرتبط التفكير والذاكرة بانتقال هذه التيارات الكهربائية . وأعقل من عاش من الآدميين هو أبعد ما يكون عن استغلال الامكانية الكاملة لمستودعه العقلي العجيب (ومن الجائز ان عامة الناس يستغلون ما بين ١٠ و١٥ ٪ من قدرة مخاخهم) .

اما كيف يخزن المخ ذكرياته فما زال غير معروف تماماً. ويعتقد بعض العلماء ان كل ذكرى من الذكريات تحتويها انشوطة من الخلايا تربطها خيوط دقيقة بتيار كهربائي، يدور ويدور حول الانشوطة التي قد تبلغ في طولها مئات او آلافا من الخلايا وتشير نظريات اخرى الى ان التذكر يطبع بطريقة ما على الخلية او يوجد على سلسلة من الخلايا كالعقد في الخيط.

ومهما يكن الامر، فان عدد الاشياء التي يمكن تذكرها يزيد كثيرا على العدد الكلي لخلايا المخ. ويقدر احد الاخصائيين انه بعد نشاط سبعين عاما قد يحتوي المخ على ١٥ تريليون وحدة مستقلة من المعلومات. ومن هذا ترى ان ذاكرتك كنز لا يستطيع الوعي الآدمي ادراك مدى حجمه وامكانياته. ومما يؤسف له ان الكثيرين منا يستوعبون قدرا من الخبرة والمعرفة يقل كثيرا عن مقدرتهم الحقة.

٣ – مستوى ذكائك اقل اهمية مما قد تعتقد:

ما هو الاساس الجسماني لمستوى الذكاء العالي؟ لا يحتاج الامر في ذلك – عكس الاعتقاد الشائع – الى جمجمة كبيرة بشكل غير عادي ولكنه قد يكون مرتبطا بزيادة ظاهرة في عدد التلافيف السطحية للحاء المخي، وهو قمة المخ الكبرى. وعند اصحاب مستوى الذكاء العالي دورة دموية جيدة بالمخ تحمل اليه الاكسجين والجليوكوز ومواد كيميائية اخرى مهمة. ومن الجائز ان تكون عند الفرد الذي يتمتع بموهبة خاصة

كالعبقرية الحسابية او الموسيقية حزمة اعصاب سميكة بشكل غير عادي في بقعة خاصة من مخه .

ولكن الهبة الطبيعية لمخك اقل بكثير مما تفعله انت به . وعدد خلايا المخ في الفرد المتوسط الذكاء عال لدرجة انه اذا استغل استغلالا كاملا فاق كثيرا في مجال الذاكرة المستوى القياسي لأعظم من وجد على ظهر الارض من العباقرة . والفرد المتوسط الذكاء اذا عمل جادا على تخزين انواع المعرفة والوان المهارة سنة بعد اخرى يفوق من هو حاد الذكاء دون ان يعنى بالدرس والتخزين . وتدل دراسات الدكتورة كاتارين كوكس مايلز الاخصائية الشهيرة في علم النفس ان فريقا من اعظم رجال التاريخ لم تزد قواهم العقلية على المتوسط .

ومن هؤلاء - على سبيل المثال - سياسيون امثال كرومويل ولنكولن، وابطال عسكريون كنابليون ونلسون ، وكتاب كجولدسميث وامرسون . ومن المؤكد ان كل هؤلاء الرجال كانوا فوق المتوسط في الذكاء ولكن مستواهم يقل كثيرا عن ابرز النوابغ في مجموعة الافراد الذين اجريت عليهم الدراسات. لقد امتلكوا قدرا كبيرا من قوة الخلق والمثابرة على شق طريقهم قدما الى ان حصلوا على مبتغاهم .

٤ – لا ينبغي ان يمنعك تقدم السن عن الدرس .

من اكثر الآراء الخاطئة عن المخ شيوعا انه بتقدمك في السن يحدث له ما يجعل استمرارك في السعي وراء الدرس صعبا.

وكمية الصدق في هذا الرأي تبلغ من الضآلة حدا يجعلها بالنسبة لغالبيتنا دون اهمية علمية .

انك تولد بكل نصيبك العددي من خلايا المخ وبين الحين والآخر تموت قلة منها ولا تعوض . واذا استثنينا حالات امراض المخ الخطيرة فأن الخلايا التي تموت يمكن اغفالها .

وحقا ان جميع المسنين يعانون تلفا في قواهم الجسمانية ، ويقاسي بعضهم هبوطاً في قواه العقلية . وافضل الآراء الطبية في هذا الشأن انه في كلتا الحالتين تقع سلسلة من « الحوادث » الطفيفة لاجزاء مختلفة من جهازنا الفسيولوجي المعقد العجيب . وكل حادثة من هذه الحوادث قد لا تكون خطيرة في حد ذاتها ، ولكن مجموعها قد يؤدي الى احداث اثر خطير .

وعجز المخ في المسنين يرتبط بنقص الدورة الدموية وما تنقله من مواد ثمينة كالاكسجين والجلوكوز ، وربما كان هذا هو السبب في ان العجائز يتذكرون حوادث شبابهم بصورة اوضح من حوادث الماضي القريب فقد تم غرس ذكريات الصبا عندما كانت الدورة الدموية في حالة افضل .

ومع ذلك لا يحدث التلف العقلي الشديد الا في بعض المسنين . وكلنا يعرف رجالا ونساء يتمتعون بنشاط العقل ويقظته في العقد التاسع وحتى في العقد العاشر من حياتهم وتبرهن حالتهم على انه ليس من المحتم ان يصاحب تقدم السن اضمحلال القوى العقلية . ولكنه ينذج عن العوامل المرضية .

ولا يجد العلم مبررا يمنع الفرد العادي من متابعة الدرس خلال العقد السابع وبعده بنسبة ٨٥ – ٩٠ ٪ من الكفاية السابقة على الاقل. انها لظاهرة جميلة ان يبدأ المتقاعدون دراسة حرف او علوم جديدة – ومن المؤسف ان ملايين المسنين يتباعدون عن متعة المخاطرات العقلية لمجرد الفكرة الخاطئة انهم « اعجز من ان يتعلموا ».

٥ – تنمو قواك العقلية بالممارسة :

يجنح المخ الى الضمور اذا اهمل كما يفعل الجهاز العضلي ويتحسن امره بالمران ، تبرهن على ذلك الحقيقة الواقعة ، وهي ان العصب البصري اذا دمر في بكرة الحياة كفت خلايا المخ في الباحة البصرية التي يتبعها عن النمو .

وعندما ينضج المخ يتكون غلاف على الالياف العصبية من مادة دهنية تسمى «ميلين» ولا تؤدي هذه الالياف عملها الا بعد ان يتم تكوين هذا الغلاف . والطفل الحديث الولادة ينقصه معظم « الميلين » ولعل هذا من الاسباب التي تؤدي الى عدم قدرتنا على تذكر كثير مما حدث قبل بلوغنا سن الثانية او الثالثة . ويعتقد كثير من الفسيولوجيين ان المران الشديد لأي جزء من اجزاء المخ يساعد على نمو كمية اضافية من « الميلين » وهو تلك المادة البالغة الاهمية .

كل ما تفعله بمخك فيه مران له ، غير انه من الواضح ان هناك مرانا اكثر اذا طلب اليك اداء عمل شاق وكلما زاد ما

تقوم به من استدلال سهل عليك القيـــام باستدلال جديد . والمقدرة على الحفظ تتحسن ايضاً بالمران. ويعتقد بعض الاخصائيين ان الوقت الذي نحتـــاج اليه لحفظ شيء يمكن اختصاره الى ثلثيه بالمران .

كل ركن من اركان شخصيتك مخزن في مخك . ومنها قوة ارادتك التي يمكن ان تنمو بدورها بالمران ، فكل مرة تجهد ارادتك لتدفع نفسك الى اتمام واجب متعب لا تستسيغه ، تجعل الامر اسهل قليلا عندما تعود الى تأديته مرة ثانية .

٦ - مستودع العقل الباطن :

العقل الباطن هو اعجب جزء مـــن عقلك تحت الذاكرة الواعية ويكبرهـا آلاف المرات . ونحن لا نعرف الى يومنا هـــذا الشيء الكثير عن العقل الباطن ، ولكن معلوماتنا عنه تتضاعف بسرعة وقد يأتي اليوم الذي نتمكن فيه من استغلال قواه العظيمة .

ويحتوي عقلك الباطن على ملايين عديدة من سابق تجاربك، تلك التجارب التي فقدتها تمامـا من عقلك الواعي . ونستطيع اليوم بفضل بعض الابتكارات ان نستعيد فاقـد الذكريات و « التداعي الحر » طريقة مـن الطرق التي يستخدمها اطباء الامراض العقلية في هذه السبيل ، فاذا سمح مريض لعقله الواعي ان يتوه طوعا ، تمكن بذلك من استعادة اشياء منسية ، اذا تتبعها الطبيب بمهارة كشف الستار عـــن شبكات بأجمعها من

خواطر ضائعة وفواجع ذهبت في طي النسيان . وهناك عقاقير خاصة تساعـــد في هذه العملية . والنوم المغناطيسي له فائدة كبرى في تقصي عقل المريض الباطن .

ويعتقد كثير من علماء النفس انه في مكنتنا زيادة استغلال عقولنا الباطنة . وقد استطاع عدد لا يحصى من الناس الافادة من « التحـدث » الى عقولهم الباطنة . واستطاع البعض ان يطلبوا الى انفسهم الاستيقاظ في ميعاد محدد صباحاً . وتستطيع في بعض الاحيان تحسين مزاجك في يومك التالي اذا ما قلت لنفسك عندما تأوى الى فراشك – واعتقدت فيما تقوله – انك ستكون اكثر مرحا في الصباح .

٧ – المخ القديم والجديد :

يمكن وصف مخك – مع التبسيط الزائد – بأنه يحتوي على ثلاثة اجزاء العلوى والاوسط والسفلي . وفي الجزء السفلي تؤدي وظائف المخ الآلية (غير المصحوبة بروية) مثل المحافظة على عمل القلب والرئتين، ويشاركه الجزء الاوسط في هذه العمليات ولكنه يؤدي ايضاً وظيفة المعبر لمرور الرسائل الى المخ العلوي او اللحاء المخي . وقمة المخ هذه هي المميزة الوحيدة التي تضع حدا قويا فاصلا بين الانسان وسائر الحيوان .

وفي الاحياء البدائية على ظهر الارض انعدم المخ العلوي او وجد له اثر ضئيل . واذا تتبعنا تطور الاحياء نرى ازدياد نسبة المخ العلوي . وهذا هو السبب في تسميته « المخ الجديد » .

وحتى في الشمبانزي والغوريلا وهي من ارقى « الرئيسات » لا يتعدى المخ العلوي ثلث حجمه في الانسان .

ومع نشأة المخ الجديد عندنا ، احتفظنا بطبيعة الحال بجميع خصائص المخ القديم . واذا هيجت كهربائياً اماكن خاصة في جمجمتك فانك تعض وتخدش كالحيوان . ولدرجة ما يمثل المخ القديم الانوية القاسيه بينما المخ الجديد هو مركز المعاني المجردة السامية كالشرف وروح التضامن والجمال . ونمو المخ الجديد هو مظهر انتصاره على المخ القديم .

ويتمكن الانفعال العميق في المخ القديم من ان يقطع دوائر المخ الجديد التي تمثل التدبر وبعد النظر . فالرجل الذي يقترف جريمة اثناء سورة غضب يعرف بمخه الجديد انه عرضة لان يقبض عليه ويعاقب ، ولكنه لا يفكر في هذا الا بعدان يهدأ انفعاله .

وينبغي الا نحاول العيش بالعقل وحده ، وننبذ مطالب عواطفنا الهامة المشروعة . فاذا كبت نبض عاطفة مشروعة في العقل الباطن كانت له ثورة هناك . فيجب اذن ان نحاول المحافظة على المخ القديم والمخ الجديد في جو من التناسق ، ذاكرين على الدوام انه اذا سيطر احدهما سيطرة تامة فلن يتمكن الانسان من ان يشق طريقه في الحياة كما يجب .

(بقلم بروس بليفي)

من مختار نوفمبر سنة ١٩٥٦ من صفحة ٩٨ - ١٠٤

وجود الله سبحانه

بقلم الدكتور محمد احمد الغمراوى
الاستاذ بكلية الطب المصرية سابقاً

●

لو كانت الالهيات من مباحث العلم الحديث ، فهل كان للعلم ما يقوله في مسألة الوجود ، وجود الله سبحانه ؟ ليس تساؤلنا هذا راجعاً الى أن وجوده سبحانه في حاجة الى اثبات ، حتى في هذه الايام التي بدأ فيها قرن الالحاد باسم الفلسفة او اسم العلم ممن يبدو من كلامهم أو كتابتهم أنهم لا يفقهون فلسفة ولا علما ، وانما يملي عليهم الغرور ما شاء من ظنون وأوهام ، ليس لها في الحقيقة قدم ولا من سلامة التفكير نصيب ، فان وجود الخالق سبحانه هو من الوضوح بحيث يكاد يلتحق بالبديهات عند كل من لم يصبه انحراف في الفطرة أو عوج في التفكير .

ان الايمان بالله سبحانه هو في الواقع الضرورة الاولى لسعادة الانسان وأمنه في هذه الدنيا وفيما بعد الموت . فكبرى سنن الله في الاجتماع أن من لم يؤمن بالله هلك . هلك هنا في الحاضر

في هذه الحياة قبل أن يهلك ويشقى في المستقبل بعد الموت في الآخرة .

فالايمان بالله سبحانه هو للانسان فرداً كان أو جماعة روح الروح ونور الحياة . هو لحياة قلب الانسان وروحه كالهواء لحياة نفسه وجسده . ومن رحمة الله بعباده أن جعل أمس الضروريات بحياة الانسان أيسرها حصولا وأقربها منالا . فالهواء الذي لا يستغنى عنه الانسان دقيقة يملأ الجو ويغشى الانسان يتسرب اليه من خصاص المنافذ ومن تحت الابواب لا يكلفه نفقة ولا جهدا ، بل أن تنقية ذلك الهواء الضروري للتنفس ، قد تكفل الله به للانسان ما بين حركة الهواء بمختلف اسبابها ، وبين فعل الضوء وأوراق النبات . وقليل من الناس من يسد على نفسه المنافس ويجلب على نفسه وذويه الاختناق ، وهؤلاء يشبههم من الناحية الروحية ذلك النفر القليل التعيس الذي يحملهم التعالم والتفلسف على انكار الاله رغم يسر أدلة الوجود وقربها وكثرتها كثرة تتناسب مع أهمية الايمان للانسان .

فلقد يسر الله للانسان دليل الايمان به سبحانه حتى جعله في متناول البديهة لمن لم يفسد منه طبع لم يسد على بديهته وعقله المسالك . وما يحتاج الانسان في هذا الا أن يقيس الموجودات في الفطرة بالمصنوعات في عالمه الذي يعيش ويتحرك فيه . فهو لا يخطر له اذا رأى شيئاً من الأشياء الكثيرة التي يستخدمها في أغراضه ومنافعه أن ذلك الشيء وجد على تلك الصورة النافعة من

نفسه او بالمصادفة أو حتى بفعل قوى ليس وراءها عقل ولا تدبير فهو اذا رأى حديدة مثقوبة أو مدببة او ذات مفصل لم يشك في أن صانعا ثقبها أو دببها أو فصلها ، واذا رأى خشبة مكورة أو منقورة أو مسطوحة لوحا مصقولا أو غير مصقول لم ينسب ذلك الى قوى مبهمة في الطبيعة ولم يشك في أن من وراء ذلك صانعا صنع وكور ونقر ونشر وصقل . ويزداد تقديره للصنعة وما فيها من مهارة وفن كلما ازداد الشيء في تركيبه تعقيدا وازدادت الصنعة دقة ولطفاً ، ولا يخطر له لحظة اذا رأى ساعة مثلا أو سيارة أو راديو أو طيارة أن شيئاً من ذلك وجد من غير مخترع اخترع وصانع صنع ، بل قليل من التأمل يدله على أن عقولا تضافرت وأيديا تظاهرت على الصنع والاختراع ولو قال له قائل ان شيئا منها وجد من نفسه او بالمصادفة لقال مجنون يهذي او جاهل يهرف .

فهذا فيما هو من خشب مثلا أو حديد ، أفاذا كانت الآلة من عظم ولحم وعصب كما يشاهد في حيوان البر والبحر أو كانت تنبت أمامه من بذرة أو نواة أو عقلة يدسها بيده في التراب ويسقيها أو يسقيها له السحاب بالماء فتخرج له من الارض ساقا تحمل أوراقا فتنمو وتسمق وتتفرع أغصانا لها أزرار تتفتح ازهارا تتحول ثماراً أو حبوبا مختلفة يتغذى ويتمتع بها وتتفتق له عن نفس البذور أو النوى الذي زرع من قبل والذي لا يزال يزرع ليأكل وينعم ويعيش - أفاذا كانت الآلة هكذا

بالغة اللطف مدهشة الصنع عامة النفع يعكف علماء الارض على استكناه سرها فلا يبلغونه ولا يكشفون منه الا طرفا يجوز في عقل عاقل أنها وجدت من غير مدبر دبر ومقدر قدر ومصور صور ومبدع أبدعها وخالق خلقها؟ ان العقل والبديهة والشعور والغريزة كل يقول مستحيل ! مستحيل في العقل والبديهة والحس أن تكون مضخة الماء أو البنزين او الهواء لاتوجد الا باختراع مخترع وصناعة صانع ، وتكون المضخة الاعجب الأغرب ربما لايقاس ، مضخة الدم في الانسان والحيوان ذى الثـــدى ، قد وجدت من غير خالق خلق وقدر وأبدع . مستحيل أن تكون قنوات الماء وترعه وما عليها من قناطر وعيون لضبط توزيع المياه فيها قد شقت في الارض بهندسة المهندسين وسواعـــد العاملين ولا تكون قنوات الماء والعصارات في كل نبـــات ، وقنوات الدم والافرازات في كل حيوان ، وما عليها من عقد وصمامات ، قد نشأت أيضاً بابداع خالق واحكام قادر حكيم. ثم هذا كله يعمل ويتسلط ويتساوق ويتكامل من غير سلطان للنبات ولا للحيوان ولا للانســـان عليه ، فمن الذي يدبره ويسيره وينظمه ويقدره ان لم يكن الله المدبر الحكيم القيوم ؟

ان الملحدين لم يبلغوا من الحمق والسفه أن ينكروا مـا في النبات والحيوان بل وما في كثير من انواع الجمـــاد من سر ونظام وابداع يكبرونه ويعظمونـه ، لكنهم يقفون عنده ولا يذهبون وراءه ويقولون هذا نحسه فلا نستطيع انكاره ولا

ترى بأعيننا وحواسنا صانعا صنعه او مخترعا اخـ ـترعه فنقر له بالالوهية وندين له بالعبودية اذن فاين ذهب عنهم العقل واستنتاجه وقياسه؟ أفلا يؤمن الانسان الا بما يحس ويبصر وليس له عند الملحدين ان يقيس ويستدل ويستنبط ؟ لو كان كذلك ما نشأ علم ولا فلسفة ولما كان لهم حتى حق التفكير سواء اداهم الى انكار أو الى اقرار. أفاذا رأى الملحد طيارة تطير لم يشك في أن عقلا ابتدعها وأن عقلا يتحكم فيها ويوجهها أما اذا رأى طائراً من لحم وعظم يقدر على ما تقدر الطيارة عليه شك بل أنكر الصـ ـانع الذي ابتدع وصنع وأحيا ووجه . وقـ ـال لم أر ولم أحس ؟ أليس يرى الطائر فقساً من بيضة ثم فرخاً بدرج ويتغذى ويطير وهو أعجب من أي طيارة رآها أو ركبها لانه طيـارة لا تحتـاج الى سائق ولانها تنصلح بغـذائها الذي تلتقطـ ـه او تلتقمه فيتحول فيها لحماً ودما وعصباً وشحما يعوض فيهـا ما استهلك ويبني منها ما تحلل بل هب الملحد الشكاك رأى طيارة تطير وهي خالية ليس فيها راكب ولا سائق تتحرك في الجو في اتجاهـات ذات غرض ومغزى حتى اذا حققته عادت فنزلت في مطارها كأن لها ارادة وعقلا ، أفكان يقول عندئذ انها فعلت ذلك من نفسها أو بالمصادفة لانه لا يرى ولا يحس سائقاً لها أم أنه يستنتج ان كان الوقوف عند المحسوس أبقى له مقدرة على استنتاج انها لابد قد صنعها صانعها بحيث يمكن أن يسيرها ويوجها متحكم فيها بالموجات الكهربية يرسلها عليها من الارض ؟.

ان علماء الارض لهم سنوات يتعاونون بأمر الحكومات

ليتوصلوا بشتى القوى والأختراعات الى اطلاق جسم يدور في جو الارض من حولها تشبها بدوران القمر أو بدورانها هي حول الشمس رجاء دراسة أجواء الارض العليا والتنقل فيما بعد وراء تلك الاجواء رغبة في السيطرة والسلطان ! فهب انهم في المستقبل القريب أو البعيد نجحوا في تحقيق غرضهم نجاحا مذكورا ورأى الملحد القمير الجديد لحظة من لحظات دورانه الخاطف حول الارض ، أفيجرؤ عندئذ أن يقول أو يزعم لاحد أن القمر الصغير جاء من نفسه او بطريق المصادفة أو بفعل قوى طبيعية ليس لها ضابط ولا عليها مسيطر؟ ام يصدق ويقر وان لم ير ولم يحس أن اكبر عقول في الارض تعاونت سنين وأنفقت الملايين حتى استطاعت بدراسة السنن الكونية والخضوع لها واتباعها بدقة أن ترسل ذلك القمير تجربة قد تؤدي الى ما هو اكبر منها واهدى؟ افيجوز في عقل الملحد الا يمكن ارسال جسم كهذا يدور دورانا ما حول الارض الا بتعاون أعظم ما في الارض من عقل وعلم وسلطان ، ثم يمكن أن يوجد القمر ويدور في فلكه حول الارض ، أو توجد الارض وتدور في فلكها حول الشمس مصادفة واعتباطا من غير تدبير مدبر وتقدير اله خالق عليم قدير حكيم ؟ ان كان هذا يجوز عند الملحد فانه لا يجوز عند غيره من الناس .

لا العلم ولا الفلسفة ولا العقل ولا الحس المشترك يجيز مثل هذا الشك أو مثل هذا الوقوف . والجمود على المرئى المحسوس - من غير تفكير فيما وراءه من معنى ومغزى غامض او مكشوف -

تفكير ليس فيه تناقض ولا خلف ولا خروج على الحق المألوف المعروف؟ فما بالك بمن يتجاوز الجمود والوقوف الى الجحد والانكار، انكار الواضح البديهي من دلالة أنواع الجماد والنبات والحيوان، وما فيها من عجائب يعكف العلم يدرسها ولا يستنفدها، على خالق بديع حكيم يخلق النبات من الجماد ويخلق الحيوان والانسان من الجماد والنبات !

ان الانسان وهو المتحكم فيما عداه من كائنات الارض لا يجرؤ أن يزعم لنفسه أنه خلقها أو خلق لها شيئاً مما حولها، افيكون ما عداه من الخليقة المتحكم هو فيها خلق نفسه أو وجد من غير موجد خلق وقدر ودبر؟ ان كل شيء حي أو غير حي في الارض وكل نجم أو سديم في السماء يشهد بخواصه ونظامه المعجب المدهش أن هناك خالقاً خلقه يدبره الان ويمنحه الوجود والبقاء ما بقي. فكل كائن من الكائنات هو في ذاته دليل قائم على واجب الوجود خالق الخلق سبحانه . بل كل ذرة من ذرات العناصر بنظامها البديع المدهش الذي كشف عنه علماء الطبيعة والكيمياء شاهد ناطق بوجود الاله الحق سبحانه فليس العالم في جملته هو وحده الدليل على وجود الله بل كل نبات وكل حيوان بل كل جماد مركب أو بسيط بل كل جزيء وذرة في الأرض أو في السماء ينطق ويشهد ويدل من له سمع أو عقل على الله مبدع الكون وموجد الوجود .

فالله الذي ملأ الجو بالهواء للانسان يتنفسه ويحيا به جسده

ملأ الكون بالشواهد تشهد له بالوجود والحكمة والرحمة سبحانه حتى يحيا الانسان بالايمان ولا يهلك بالانكار والكفران كماهي سنة الله في كل منكر كفار.

والى العلم الحديث يرجع الفضل في تبيين أسرار الخلق حتى صارت كل خلية في جسم حي بل كل ذرة من ذرات عناصر الاجسام دليلا قاطعاً على وجود الله ، وهاديا رائعاً الى كماله وجلاله وجماله سبحانه .

ولنا الى صلة العلم بهذا الموضوع الاجل عودة ان شاء الله .

من نور الاسلام عدد ٣ السنة الثالثة والعشرين

معجزات الانبياء

هل يمنع منها العلم الحديث

بقلم الدكتور محمد احمد الغمراوي

•

المقصود بالعلم الحديث مجموع العلوم التجريبية التي كشفت عن سنن الفطرة أو الطبيعة ما كشفت ، وكان لها فضل هـــذه الاختراعات التي بهرت الناس .

وقد أثبتت هذه العلوم أن فطرة الكون تقوم على سنن ثابتة لا تتناقض ولا يعتريها تغيير ولا تبديل ، فالتجـــارب العلمية المضبوطة لا تتعارض فيما بينهما مهما اختلف ميدانها ، بمعنى أن تجربة صحيحة لا تؤدي ولا يمكن أن تؤدي الى ما يخالف أو ينقض نتيجة تجربة صحيحة أخرى في اي ميدان من ميادين البحث العلمي على تعددها بتعدد العلوم ، وأن أي تجربـــة اذا أعيدت بشروطها وظروفها فستكون النتيجة حتما واحدة لا يستطيع أحد تغييرها كما لا تستطيع البشرية مجتمعة أن تغير شيئاً من

سنن الفطرة . بل ان ظاهرة مثل ظاهرة التحلل الاشعاعي في الراديوم وغيره من العناصر الاشعاعية تجري في كل عنصر منها على وتيرة تخصه فلا يستطيع العلم أن يزيد مثلا في سرعتها بتسخين مهما اشتد ، ولا أن يهدىء من سرعتها بتبريد مهما زاد .

هذه النتيجة قد أدت ببعض الناس أن يشكوا في معجزات الانبياء ظناً منهم انها تخالف سنن الله في الكون وأن العلم الحديث يمنع منها ، حتى ان بعضهم مثل فريد وجدي رحمه الله عد آيات المعجزات في القران من المتشابهات ، وحتى افترقت من المسلمين فرقة تفسر آيات المعجزات على غير ظاهرها فتأتي في ذلك بالغريب المضحك كتفسير محمد علي اللاهوري قوله تعالى :

«فاوحينا الى موسى أن أضرب بعصاك البحر فانفلق» : أي اطلب بقومك طريقاً في البحر ... الى غير ذلك من عجيب التفسير الشاذ الذي حمل عليه عند هؤلاء اعتقادهم أن المعجزات مستحيلة في سنن الله وفي العلم الحديث .

ومسألة المعجزات لها طرفان : طرف قرآني ، وطرف في العلم اليقيني . والطرفان ينبغي ألا يختلفا . فايات المعجزات في القرآن آيات من كتاب الله المتلو ، ووقائع العلم الثابتة بالتجربة العلمية والمشاهدة الصحيحة وما تؤدي اليه من سنن آيات من كتاب الفطرة التي فطر الله عليها الكون ، والكتابان كلاهما من

عند الله، فكلاهما حق لا ريب فيه ، والحق لا يختلف ولا يتناقض ، وانما يأتي الاختلاف أو التناقض من الانسان اذا اساء الفهم والتأويل ولم يلزم حدود المنطق الصارم فاستنتج منهما بالهوى أو بالظن مالا ينتجان .

أما القرآن الكريم فتفسيره وفهمه الصحيح مشروط بشروط، منها أن نفهم الفاظه وعباراته طبق اللغة العربية وقت نزول القرآن ، فلا نفهم من كلمة فيه معنى استحدث بعد نزوله ولبس الكلمة بالتطور اللغوي على مر الزمان، ومنها الا نخرج بألفاظه عن الحقيقة الى المجاز الا اذا كانت هناك قرينة حاملة كافية، ومنها ألا نحمل آية على معنى يخالف أو يناقض معنى آية اخرى ان لم يثبت أن احدى الآيتين ناسخة للاخرى على الوجه المقرر في الشرع للتدرج في التشريع ، فان الخلف أو التناقض مستحيل على القرآن استحالته على سنن الله في الكون . والى مخالفة هذه الشروط بعضها أو كلها يرجع خطأ من ذهب الى حمل آيات المعجزات على غير ظاهرها بحملها مثلا على معنى مجازي او بتعطيلها وعدها من المتشابهات

فمعجزات الانبياء والرسل اذن ثابتة بالقران العزيز ثبوتاً قاطعاً لاشك فيه .

وقد جرى عرف علماء الكلام ان يسمى هذا الثبوت ثبوتاً بالنقل . وهي تسمية تشعر بجواز مخالفتها للعقل ، مع أن الثبوت بالقرآن هو في الواقع ثبوت بالعقل أيضاً ، لان كون القرآن

كتاب الله المنزل على محمد عبده ورسوله قد ثبت بالعقل ثبوتاً لاشك فيه . واهمال هذه الناحية من تكييف الدليل القرآني من شأنه أن يؤدي وكثيراً ما أدى الى اثارة الشبهات في نفوس الشباب الاسلامي. وما اظن التمييز بين الثبوت بالنقل والثبوت بالعقل الا قد جاءنا عن طريق الفلسفة . فان كان ولا بد فلنسم الثبوت بالنقل ثبوتا بالعقل عن طريق النقل، حتى نتجنب اثارة الشبهات في نفوس الشباب .

وثبوت معجزات الرسل هكذا من الطرف القرآني للمسألة يؤدي كنتيجة أولية الى استحالة نفيها من الطرف العلمي اليقيني، بمعنى أن من المستحيل في العقل أن تؤدي يقينيات العلم الحديث الى نقض ما قرره القرآن في أمر معجزات الانبياء .

هذه النتيجة الاولية مبنية من ناحية على مبدأ هو قوام العلم الحديث : مبدأ استحالة التناقض بين الحقائق مهما اختلفت ميادينها وتباينت طرق الكشف عنها . وهي من ناحية أخرى مبنية على ان ميادين العلم التجربي الحديث هي نفس الميادين التي آمر القرآن بالنظر فيها بحثاً عن آيات الله وسننه ، كما في الآية الخامسة من سورة يونس والثانية والعشرين من سورة الروم والسابعة والعشرين والثامنة والعشرين من سورة فاطر الى آيات كثيرة غيرها ليس الى احقاقها سبيل الا العلم التجربي الحديث .

فالذي يقول بامكان التناقض بين يقينيات العلم الحديث

والقرآن في مسألة المعجزات انما يقول بامكان تناقض القرآن مع نفسه !.

« وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

بقي أن ننظر للمسألة من طرفها العلمي اليقيني: ان المعجزات من نحو احياء الموتى وابراء الاكمة والابرص على يد عيسى ، أو فلق البحر بالعصا على يد موسى ، هي من النوع المادي الذي يفحصه العلم في ميادينه ، والعلم اثبت بتجاربه التي لا تكاد تحصى كثرة أن البشرية كلها لا تستطيع أن تأتي بخارقة من تلك الخوارق ، فهل ينتج من هذا أن المعجزات اذن غير ممكنة؟ لو كانت معجزة من صنع النبي أو الرسول لكانت على هذا مستحيلة في العلم ، لكن لم يدع نبي ولا رسول أن المعجزة من صنع نفسه ولكن من صنع الله الذي ارسله ، شهادة منه سبحانه على صدقه . فالعلم حين أثبت استحالة المعجزات على البشرية انما اثبت في الواقع ان دلالة المعجزة اذا جرت ووقعت بالفعل هي دلالة حقيقية وبرهان واضح قاطع على نبوة النبي ورسالة الرسول ، وهذا بالضبط هو دلالة المعجزات في الاديان ، وموضع الحجة من الله فيها على الناس اجمعين .

والعلم الحديث مع اعترافه بكل واقع ثابت قد قصر الى الآن بحثه على الظواهر الطبيعية المتجددة الممكن فحصها بالمشاهدة والتجربة .

هذه حقيقة تاريخية اقتضتها ظروف نشوئه في الغرب ليتخلص من تدخل المتدخلين وتحكم المتحكمين في البحث العلمي ورجاله ، واضطهاد امثال جاليليو من رجال البحث العلمي امر معروف في التاريخ . هذا القصر قد اضر بالروحانيات في العاجل وان كان يرجى أن يكون انفع لها في الآجل ، وقد بدأت بشائر النفع والتأييد تظهر فعلا على يد أمثال جينز من العلماء . ووجه من اوجه الضرر انه ترك بحث الظواهر التاريخية جانبا وان متت بسبب الى نوع ما يبحثه ، فترك مثلا بحث معجزات الانبياء اوقعت ام لم تقع ، ولو جعل العلم من شأنه بحث ادلة الظواهر الخارقة التي اجراها الله على ايدي انبيائه ورسله لاعترف بها حتما ، لان قاعدته أن يعترف بالواقع مهما كان عجيبا ، يعترف به اولا ثم يبحث عن تفسيره بعد ذلك ، لا كما يفعل من يعلقون اعترافهم على وجود تفسير تقبله عقولهم ، فان لم يجدوا انكروا وشكوا في الواقع الغريب عن مألوفهم . صحيح ان العلم عندئذ كان يدخل المعجزات في زمرة الظواهر الكونية ، لكنه أيضاً كان لاشك باحثا ظروفها الملازمة لها في تكررها فيما تكررت فيه من العصور ، ولو بحث لوجد انها ظهرت دائما على ايدي نوع خاص من الناس اشتركوا كلهم في صفات روحانية خاصة وفي دعوي خاصة هي دعوى النبوة والرسالة من خالق الكون الى اخوانهم في الانسانية ، ولوجد انهم جميعا لا ينسبون تلك الظواهر الخارقة الى انفسهم ولكن ينسبونها كلها الى الله فاطر الفطرة وخالق الكون شهادة منه على

صدقهم . عندئذ كان لابد للعلم أن يحكم ان المعجزة ظاهرة كونية لكن بظروفها وشروطها، وأن شرط اساسيا لظهورها أن تكون على يد نوع نادر من البشر يشترك أفراده جميعا في صفات مميزة لهم ، منها الزهد فيما يتنافس الناس فيه من الدنيا ، ومنها - وهي اهمها - تلك الدعوى دعوى الرسالة الى الناس من عند فاطر الكون ، يدعونهم الى عبادته وطاعته سبحانه ، ويسبقونهم الى العمل بما يدعونهم اليه .

اذن لعرف العلماء وغير العلماء ان سنن الفطرة التي تعجز البشرية عن تغييرها وتبديلها يغيرها ويبدلها من سنها وفطرها ولكن في ظرف روحاني واحد خاص هو تصديق نبوة النبي ورسالة الرسول الذي اقتضت حكمته ورحمته سبحانه أن يرسله الى الناس ليخرجهم بأذنه من الظلمات الى النور . وسواء بعد ذلك أن تعتبر المعجزه ظاهرة طبيعية مقرونة بشرط النبوة كما يمكن أن يقول رجال العلم ، أو أن تعتبر من الخوارق كما يقول رجال الدين .

من مجلة لواء الاسلام العدد الأول السنة التاسعة

عمر الكون

للسيد محمد عبد الغنى الجواهرى
ميز التعليم في مديرية السكك
الحديدية العامة

●

لا زال علم الفلك يحيط به كثير من الغموض والابهام ، بالرغم من الاهتمام الزائد الذي حظى به منذ الزمن القديم حتى الوقت الحاضر ، باعتباره علما يتعلق بالسماء التي استمد الانسان منها قوانينه ونظمه واستوحى عنها أفكاره وعقائده .

وبالرغم من كثرة المشاكل والامور المحيرة التي تواجه العلماء في الوقت الحاضر فان المشكلة المعروفة بالحيود نحو الاحمر . The Red-Shift تعتبر من أعقد المشاكل واكثرها جلبا للتساؤل والاستغراب .

فمن الوسائل التي نستكشف بها محتويات النجوم هو تحليل الضوء الصادر منها الى عناصره الاولية وذلك بتعريضه الى منشور زجاجي حيث يتحلل هذا الضوء الى ألوان قوس قزح السبعة مبتدئة باللون الاحمر ومنتهية باللون البنفسجي .

والاختلاف في هذه الاشعاعات ذات الالوان المختلفة هو في طول موجاتها فاللون الاحمر هو اطولها موجة وأقلها ترددا أما اللون البنفسجي فهو أقصرها موجة واكثرها ترددا ويعرف هذا التحلل من لون الضياء الابيض الى هذه الالوان السبعة بالطيف.

وتتعرض الاشعاعات الضوئية القادمة من النجوم (وبضمنها الشمس) الى نقص في التردد وذلك بسبب وجود العناصر في الطبقة الخارجية الباردة نسبياً من النجم المصدر لهذه الاشعة (كالهايدروجين والكالسيوم والحديد وغيرها التي لا تختلف عن العناصر الارضية في شيء). ولهذا السبب فان هذا النقص في التردد يظهر على سطح الطيف بصورة خطوط غامضة تقطع سطحه عرضيا . ولهذا السبب فاننا اذا اخذنا قطعة من الحديد مثلا وسخناها تسخيناً شديداً ووضعناها أمام منشور فاننا سوف نلاحظ الطيف السابق والخطوط الغامقة التي تقطعه والتي تشابه تماما الخطوط التي تقطع طيف الضوء الوارد من النجوم فاذا كانت مواضيع هذه الخطوط تتفق تمامامع مواقع الخطوط الموجودة في طيف النجم فاننا نقول بأن النجم المذكور لا يبتعد عنا ولا يقترب أما ان كانت لا تتفق تماما بل تنحرف نحو اللون الاحمر من الطيف (الطويل الموجة) فاننا نقول أن النجم يبتعد عنا واذا كان العكس وكان الانحراف نحو الطرف البنفسجي (القصير الموجة) فاننا نستنتج بان النجم يقترب نحونا وهكذا . وبهذه الصورة تمكن العلماء من حساب سرعة النجوم ومعرفة محتوياتها وقد ظهر أن جميع النجوم الكونية

التي عرفت حتى الآن تتكون من نفس العناصر المعروفة لدينا والتي تتكون منها المادة الأرضية .

كل هذه الامور لا تؤلف مشكلة مـا ولكن الغريب في الامر هو أنه قد لوحظ عام ١٩٢٥ بعـــد أن نصب اكبر تلسكوب معروف في ذلك الوقت في قمة ولسون Mount Wilson ذو العدسة التي قطرها ١٠٠ انج والذي مدد مجال الرؤية الى ٥٠٠ مليون سنة ضوئية (تبلغ سرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية والسنة الضوئية هي مقدار ما يسيره الضوء في مدة سنة واحدة) لقد لوحظ بعد نصب هـــذا التلسكوب بزمن قليل ان الخطوط الداكنة التي تخترق طيف بعض النظم الشمسية تحيد عن مواضعها التي يجب أن تكون فيها نحو اللون الاحمر ويعنى هذا أن طول موجة هذه الاشعاعات تزداد ، ولوحظ ايضاً ان مقدار هـذا الانحراف يزداد كلما ازداد بعد النظام الشمسي عنـا ، والمعنى الوحيد لذلك هو أن السديم المشع لهذه الاشعة يبتعد عنا وأن السدم البعيدة جدا هي اسرع السدم في الابتعاد . كما انه قـد قدرت سرعة السدم التي تبعد عنـــا ١٣٥ مليون سنة ضوئية بمقدار ١٤٣٠٠ ميل بالثانية وهنا تقف علامة الاستفهام فلو صح هـذا الاستنتاج وهو في أغلب الظن صحيح فان سرعة السديم في حالة تزايد مستمر كلما ازداد ابتعاده عنـا فماذا يكون عليه الوضع مثلا عندما تصبح سرعة السديم تساوي سرعة الضوء ؟.

تبلغ سرعة السديم الذي يبعد عنا الآن بمقدار ٥٠٠ مليون سنة ضوئية وهي أبعد مسافة يمكننا رؤيتها بالمنظار حوالى ثلث

سرعة الضوء ، فاذا كانت النسبة البسيطة بين بعد السديم وسرعته ثابتة في جميع الاحوال فان السديم الذي يبعد عنا بمقدار ١٧٥٠ مليون سنة ضوئية ستبلغ سرعته سرعة الضوء ومعنى ذلك انه ستكون طول موجة ضوئه حتى تصل الينا هي اللانهاية اي ان مقدار ترددها صفر ومعنى ذلك انها سوف لن يكون لها طيف كما اننا سوف لن نحس بها وبكلمة أخرى أننا سوف لن نرى السديم او نشعر به مهما توسعت طرق بحثنا او ازدادت دقة اي انه سوف لن يكون لهذا السديم وجود بالنسبة الينا مـــا دام لا يؤثر على مشاعرنا واحساساتنا بأي صورة من الصور .

وتفسر لنا النظرية النسبية لانشتاين سبب هـــذا الابتعاد فتقول ان الكون ليس بالصورة التي بينها لنـا نيوتن وأرسطو قبله بأنه لا نهائي السعة بل انه ذو سعة محـدودة — ولا يعني ذلك بأنه له حد فاصل اذا تعديناه نجد شيئاً يختلف عن الكون وانما الكون عبارة عن كرة ثلاثية الابعـاد يكون فيها الخط المستقيم يرجع الى نقطة ابتدائه كما هو الحـال على سطح الكرة الارضية . لذا فاننـا مهما تابعنا السفر في خط مستقيم يقودنا في ذلك شعاع ضوئي (لانه دليل الاستقامة عنـد نيوتن) فاننا بعد زمن (وفي الحق سيكون زمنا طويلا جـدا) سنجد أننا سوف ننتهي بالنقطة التي ابتدأنا منهـــا سابقا . وتزيد النظرية فتقول بأن حدود هذا الكون ليست ثابتة بل انها في حالة تغير مستمر اما ان تزداد واما ان تنقص وتدل الظاهرة السابقة في ابتعاد الاجرام السماوية عنا بأن الكون في حالة توسع .

ويمكننا ان نتصور هذه الصورة للكون اذا تصورنا الكرة الارضية، فقد كان القدماء يعتقدون بأن الارض مسطحة عندما لم يجوبوا منها الا قسما قليلا ، ولكننا الآن نعتبرهـا كروية لاننا لو نسير مدة طويلة على خط مستقيم عليهـا فاننا سوف نرجع الى نقطة ابتدائنـا . ولكن الارض ثابتة السعة في حين ان الكون يزداد في السعة فلو تصورنا ان الارض تزداد اي ان نصف قطرها في حالة تزايد مستمر فان جميع النقاط على سطحها سوف تبتعد عن بعضها البعض وسوف يحس الرجل في بغداد ان لندن تبتعد عنه وان ابتعادها عنه اسرع من ابتعاد مدينة البصرة عنه ونيويورك تبتعد عنه اسرع من ابتعاد لندن وذلك لان نيويورك ابعد من لندن ولندن ابعد من البصرة عن بغـــداد .

هذا مثل مع الفارق يقرب الينـــا الصورة التي تصور بها النسبية الكونية ، ولهذا فان صحت هذه الصورة فانه لا يمكن تحديد سعة الكون في وقت من الاوقات ما دام في حالة توسع مستمر ولكن الاستاذ هاركريفز يحدد لنـا سعته في الوقت الحاضر فيقول بأن قطره لا يزيد عن ٣٥٠٠ مليون سنة ضوئية. ويزيد ادنكتون فيقول انه يزيد سعته الى الضعف في كل ١٣٠٠ مليون عام او نحوه .

وهذا يقودنا الى التساؤل عن عمر الكون وهل بقى يزداد اتـاعا طول هذه المدة ؟. ان المعلومات الحاضرة لا تجيب عن هذا التساؤل جوابا شافيا ولكنهـا تقول ان الدلائل تشير الى

ان الكون استمر على هذا الاتساع منذ ٢ x ١٠^٩ سنة حيث كان الكون قبل ذلك الحين صغيرا جدا . وتزيد هذه النظرية فتقول ان جميع هذه السدم والاجرام كانت كلها متمركزة في نقطة واحدة ولكن في وقت من الاوقات قبل حوالى ٢٠٠٠ مليون سنة حدث انفجار عظيم جعل هذه الاجزاء تتمزق عن بعضها البعض كما يتمزق بالون المطاط عندما يزداد نفخه فراحت هذه الاجزاء تسير في الفضاء بخطوط مستقيمة ما دامت لم تصادفها قوة تحرفها عن خط سيرها . فاذا تصورنا هذا الامر فان تلك الاجرام التي تبتعد عنا كثيرا هي الاسرع من باقي الاجزاء .

ولكن هذه النظرية تقف ضدها الحقيقة القائلة بأن هذه الاجرام تسير بتعجيل في السرعة معين وانه لو كانت هذه الحقيقة واقعة فعلا فان هذه الاجرام والسدم السماوية سوف تسير بسرعة منتظمة ما دامت لم تؤثر عليها قوة اخرى تزيد في سرعتها ولكن اصحاب النظرية يقولون بأن هذه القوة نتطلبها ايضاً اذا افترضنا انها كانت منفصلة عن بعضها البعض وفي حالة سكون وان مقدار هذه القوة يكون كبيرا الى حد عدم التصور . وهكذا تدور الاسئلة في دوامة مستمرة .

وهناك تساؤل آخر يقول اذا كان الكون في حالة توسع منذ حوالى ٢٠٠٠ مليون عام كما مر سابقاً واذا كان الكون ثابتاً في كثافته النسبية طيلة هذه المدة فمعنى ذلك ان المادة في حالة خلق مستمر وانها تخلق من لا شي وبذلك يتحقق القول القديم وهذه النظرية تعرف بنظرية خلق المادة

وتزيد هذه النظرية The Creation of Matter Theory التي نرجع الى بوندى Bondi و كولد Gold وهويل F. Hoyle فتقول بأن هذا الخلق يكون على شكل ذرات هيدروجينية تتكثف فيما بعد الى مادة سديمية ولكن هذه النظرية في الوقت الحاضر غير مقبولة للسبب البسيط القائل بأنه لم يثبت حتى الآن بقاء كثافة الكون ثابتة بل توجد بعض الدلائل تدل على العكس.

ان النتيجة التي نخرج بها من هذه الخلاصة هي انه بالرغم من تشعب البحث فانه توجد دلائل كثيرة ـ وان كانت لا تزال اكثرها نظرية ـ تبين ان الكون ليس نهائياً في سعته او تاريخه وقد حاولت النظرية النسبية ان تعطينا فكرة عن الكون بصورة عامة وذلك بخلطها بين الملاحظة والتدليل ، فان كانت نظرتها صحيحة فان ازدياد القياس في مجال الزمان والمكان الذين اصبحا صفتين رئيسيتين في علم الفلك سيكون له نهـــاية واننا سوف ندرك هذه النهاية وان صح قول ادنكتون بأن محيط الكون حوالي ٦٠٠٠٠ مليون سنة ضوئية او صح قول غيره عندما يرجعه الى نصف هـــذا المقدار فاننا سنبلغه في القريب العاجل ان استمر تقدمنا في صناعة المناظير هذا التقدم الكبير. وقد يبين لنا المنظار العظيم ذو العدسة التي قطرها ٢٠٠ انـــج والذي نصب في قمة Mount palomar اضواءا جديـــدة ومشاكل جديدة .

من مجلة المعلم الجديد العراقية مـــن المجلد التاسع عشر سنة ١٩٥٦ .

فهرس مجمل

لاهم مواضيع كتاب التوحيد

ص

٣ - ٥ مقدمة الناشر

٧ مقدمة المؤلف

٨ - ١٠ سبب تأخر تأليف الكتاب

١١ - ١٢ جهل الشكال بما في الموجودات من حكمة وعناية

١٣ اول ادلة وجود الباري

١٤ - ١٦ ذكر خلق الانسان في بطن امه الى ولادته

١٦ - ١٨ حكمة عدم تعقله جنينا ومولوداً

١٩ اعضاء البدن للذكر والانثى

٢٠ اعضاء الهضم المعدة والامعاء والكبد

٢١ عود الى نشأة الجنين

٢٢ ما خص به الانسان من اعضاء وتسوية خلقه

٢٣ الحواس الخمس ومتعلقاتها

٢٥ حكمة ما خلق من اعضائه متردداً وما خلق مزدوجا

٢٦ الصوت واعضاء الكلام
٢٧ الدماغ وما حوى من المخ
٢٨ القلب وتجاويفه ومجاري الطعام والشراب
٢٩ النخاع الشوكي وتحصينه في فقرات الظهر
٢٩ كثرة اللحم المحتاج اليه في المقعدة والفخذين
٢٩ الذكر والانثى
٣٠ الرئة والفواد
٣١ انتصاب الذكر وارتخاؤه عند الحاجة لكل منهما
٣٢ حكمة الاظافر والشعر وعدم احساسهما ومحال نبات الشعر
٣٤ حكمة ريق الفم . اغلاق المعدة
٣٥ دواعي الأكل والنوم والجماع وقوى البدن
٣٧ قوى النفس الفكر والحفظ والتخيل والنسيان
٣٨ خلق الحياء
٣٩ ملكة الكتابة
٤٠ ما اعطي الانسان من الصنائع وما منع منه من اطلاع الغيب
٤٢ حكمة منعه من معرفة نهاية اجله
٤٤ الاحلام والرؤى صادقها وكاذبها
٤٥ اعطاؤه ماله فيه حاجة وحرمانه ما لا حاجة له فيه
٤٧ حكمة عدم تشابه الناس كما تتشابه الحيوانات
٤٨ حكمة الآلام والمصايب

٤٩ المجلس الثاني ـ كتاب الله فيه الهدى والنور
٥١ خلقة الأنعام وحكمتها
٥٣ خلقة اكلة اللحوم من الوحوش
٥٣ اتباع اولاد الحيوانات لأمهاتها
٥٤ قوائم ذوات الأربع
٥٤ تذليل الحيوانات للانسان
٥٥ خوف السباع من الانسان
٥٦ خلق حواس الدابة في وجهها
٥٦ ذيل الدابة وفائدته لها
٥٧ مشفر الفيل بدل طول عنقه ولقاح أنثاه
٥٧ خلق الزرافة وليست من حيوانات شتى
٥٩ خلق الفرد وذكاؤه
٦٠ كسوة الحيوان بالصوف والشعر
٦٠ مواراة الحيوانات لجثث موتاها
٦١ فطنة الحيوانات وغرائزهم
٦٢ عجيبة التنين والسحاب
٦٣ حيلة الليث في صيد طعامه
٦٤ خلقة الطائر المناسبة لطيرانه
٦٥ بيض الطير لا ولادته
٦٦ هيجان الدجاجة لاحتضان البيض
٦٧ خلقة البيضه لتولد الفروج
٦٧ حوصلة الطير وفائدتها له

٦٨ الطائر طويل الساقين
٦٩ حيوانات الليل وطعامها
٧٠ الطائر ابو غرة
٧١ الجراد ضعفه وقوته
٧٢ خلقة السمك وتدبيرها
٧٣ تمام المجلس الثاني واول الثالث
٧٤ ذكر السماء والشمس والقمر
٧٦ طلوع الشمس وغروبها والليل والنهار
٧٨ طلوع القمر وفوائده
٧٩ النجوم ومسايرها
٨٠ ثوابت النجوم وتحركها
٨٢ ظهورها واحتجابها
٨٣ البعد بيننا وبين الشمس بتدبير وقدر
٨٤ دوران الفلك على العالم بأجرامه
٨٥ مقادير الليل والنهار وحكمتها
٨٦ تعاقب الفصول والحر والبرد وفوائدهما
٨٧ تصريف الرياح وحكمته
٨٩ خلقة الجواهر والمعادن وفوائدها
٩٠ اتزان الأرض مع حركتها وحكمة الزلازل
٩١ كثرة الماء وتدفقه
٩٢ كثرة الهواء وسعته
٩٣ النار وفوائدها

٩٤ الصحو والمطر
٩٧ المعادن المختلفة وتنوعها وغلاء النادر منها
٩٩ النبات ومنه الثمار والحبوب والزيوت والسكر
١٠١ غذاء النبات والشجر من الارض والماء والهواء
١٠٢ الحب والنوى والثمار وما يؤكل معها
١٠٤ خلق الرمانة وتدبيره
١٠٥ نضوج الثمار في ابانها
١٠٦ خلقة النخل والعبرة فيه
١٠٧ العقاقير والادوية والنفع بها
١٠٨ نباتات الصحراء وفوائدها
١٠٩ المجلس الرابع
١١٠ الآفات والأمراض وحكمها
١١٢ الآفات والامراض كالأدوية البشعة علاج نافع
١١٥ حكمة الموت والحياة وتعاقب الأجيال
١١٨ ما خفى من صواب العالم يقاس على ما علم من صوابه
١١٩ الخطأ الجزئي لا يبطل الصواب الكلي
١٢٠ لا يدرك كنه الخالق بالخيال او العقل
١٢١ سبب اختلاف الناس في الرب
١٢٢ حكمة استتار الخالق عن حواس الناس
١٢٤ ما هي الطبيعة التي ينسبون اليها الخلق والتدبير

انتهى

خمس ملاحق مناسبة لكتاب التوحيد

•

١٢٧ - ١٣٤ العظام وما فيها من الفوائد والعبر
١٣٥ - ١٣٩ مخلوقات ليلية وما فيها من الغرائز والحكم
١٤٠ - ١٤٨ قوى المخ البشري وما فيه من عجائب
١٤٩ - ١٥٦ وجود الله سبحانه وتعالى
١٥٧ - ١٦٣ معجزات الانبياء والعلم الحديث معها
١٦٤ - ١٧٠ عُمر الكون

اهـ

.599

دار العبّاد
للطباعة والنشر
شارع بشارة الخوري - بناية نفاع - تلفون ٢٨٩٨٤
بيروت - لبنان

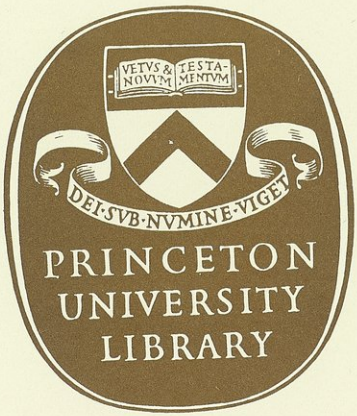

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
MAY-JUNE 1993
We're Quality Bound

(NEC)
BP166
.2
J33
1911

(NEC)
BP166
.2
J33
1911